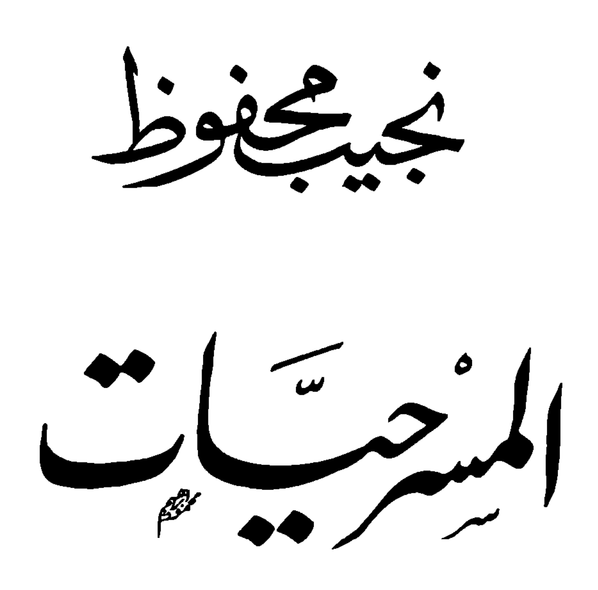
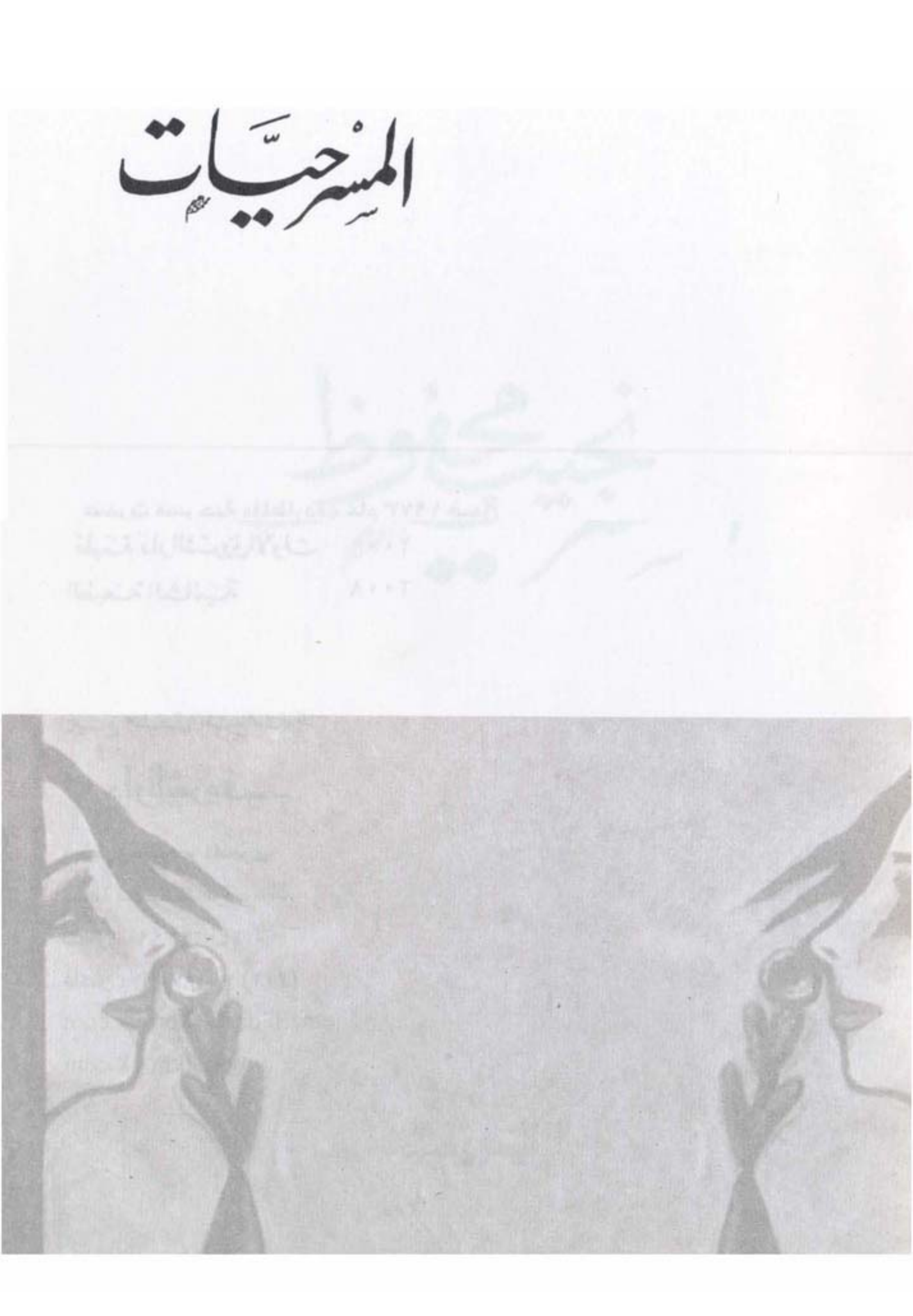


المسرحيات





دار الشروق


المسرحيات

صدرت مسرحية «المطاردة» عام ١٩٧٣ ضمن كتاب «الجريمة»، وصدرت المسرحيات الباقية عام ١٩٦٩ ضمن كتاب «تحت المظلة».

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٦
الطبعة الثانية ٢٠٠٨

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون : ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

المحتويات

يميت ويحيي ٧
التركة ٤١
النجاة ٧٣
مشروع للمناقشة ١٠٣
المهمة ١٣٩
المطاردة ١٦٩


يميت ويحيى

المسرح منقسم إلى قسـمين. قسم أمامى وهو حوالى ثلثى المساحة وهو مضاء واضح المعـالم. فى وسطه نخلة مغروسة، وفى جانب منه ساقية صامـتة، القسم الخلفى مرتفع الدرجات على هيئة مصطبة، تغشاه الظلمة، وتلوح به أشباح راقدة، نيام أو موتى. الطابع طابع تجريدى.

يُرفع الستـار. على المسرح فتاة جـميلة تسير ذهابا وجـيئة بين النخلة والسـاقـية. ثوبهـا يناسب الجـو التـجريدى حـيث يصعب تحديده على أساس جغـرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح.

ومع ارتفاع السـتار تترامى أصـوات معركـة بين اثنين آتية من ناحية اليسـار. شتائم وتهديدات وأصوات ضرب.

الفـــــتـــاة : يارب السـمـاوات . . مـتى تختـفى هذه الأصـوات من الوجـود؟ . . مـتى تشـرق شـمـسك على أرض ناعـمـة البال، قريرة العين؟

(تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول)

ترى هل أكفر عن ذنب قديم؟ أو إنه بلاء مركب فى دمى؟
أو إنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة لإصلاحها؟

(يتقهـقر شخص مندفعا بعنف، نـتيجة لدفعـة قوية تلقاها فى

الخارج، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه. الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان. يفتح عينيه. ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغما)

الفتى : أبى!

(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

: أمى!

(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

: زوجتى!

الفتاة : شد حيلك.

(تدلك خديه. يفتح عينيه مفيقا. ينظر إليها طويلا ثم يتمتم)

الفتى : أنت!

الفتاة : حمدا لله.. قم.. اعتمد على ذراعى..

(تقيمه.. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره.. وهو يأخذ فى التماسك شيئا فشيئا)

: لعلك أحسن..

(الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية)

: تنفس بعمق فالجو اليوم طيب.

الفتى : لا شىء طيب على الإطلاق.

الفتاة : الجو طيب على الأقل، هدئ خاطرك.

الفتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر.

(تشده برقة إليها فى دلال).

الفتاة : تعال إلىّ، أنا لا أعرف اليأس.

(تحتد فى عينى الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء أمام نظراتها الحنونة).

الفتى : لست على حال أهنأ معها بعطفك، معذرة.

الفتاة : ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : ليت ذلك فى الإمكان.

الفتاة : إنه ممكن إذا أردته.

الفتى : (متحسسا رأسه وعنقه فى تألم) إنه مستحيل أردت أم لم أرد.

الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء.

الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء.

الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها، إنى أدعوك إلى السعادة الحقيقة فى الوجود.

الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا.

الفتاة : يا لك من جاحد!

الفتى : لا أنكر عهدك، ولكنى أخشاه، أخشاه فى لحظة اندحارى الراهنة، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر.

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألق الأزهار وجنى الثمر؟!

الفتى : بل إنى أذكر مع الأسى ثقل الجنون، وترهل العضلات واسترخاء الهمم.

الفتاة : دعنى أكرر أن ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : يا له من جمال دافئ قهار. أقوى من الموت نفسه، ولكن تلاشت فى أحضانه أحلامى.

الفتاة : إنه أنفع من أحلامك .

الفتى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .

الفتاة : من عجب أن تحن إلى فظاظة الخلاء !

الفتى : أحن حقا إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .

الفتاة : والدم والتشرد والغبار .

الفتى : بل قوة الاعتداد المسخرة للرياح .

الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .

الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .

الفتى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .

الفتاة : أنت أنانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة الدماء .

الفتى : إنى أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .

الفتاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى .

(الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى الظلام حاملة الرقود من الأشباح)

الفتى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .

الفتاة : لا أحب النظر نحو الموتى .

الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .

الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سواى !

الفـتـى : كم استنمت إلى هذا الكلام الآسر حتى داستنى الأقدام.

الفتـاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك.

الفـتـى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا أليما موجعا!

الفتـاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه.

الفـتـى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى.

الفتـاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى.

الفـتـى : صدقت حتى وهنت منى القبضة.

الفتـاة : كان علىّ أن أنتشلك من حياة التشرد فى الخلاء.

الفـتـى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى.

الفتـاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء.

الفـتـى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت.

الفتـاة : لا شىء كالموت.

الفـتـى : إنه ليس شر ما فى الحياة.

الفتـاة : صدقنى فإنه العدو الأول للحياة.

الفـتـى : أيسرك أن أرضى بالهزيمة؟

الفتـاة : ارض بأى شىء إلا الموت.

الفـتـى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة؟

الفتـاة : للزمن بلسم يشفى كل شىء إلا الموت.

الفـتـى : (مشيرا إلى المصطبة) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود.

الفتـاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا.

الفـتـى : (مخاطبا المصطبة وأهلها) قولوا إنكم خالدون.

(صوت من المصطبة كالصدى) : إنكم خالدون.

الفتاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .

الفتى : ألا تسمعين؟

الفتاة : إنك تصرخ فى الأموات تبريرا لسفك الدماء .

الفتى : يا له من صوت رهيب!

الفتاة : متى كان للتراب صوت .

الفتى : (مخاطبا المصطبة) هل تسمعون ما يقال؟

الصوت ـ الصدى : (بعد قليل) هل تسمعون ما يقال؟

الفتى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الصوت ـ الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الفتى : (لا يزال متطلعا إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه)

إنهم يرددون قولى . . أجل . . ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب . . وها هم يتحركون . (يظلون رقودا طيلة الوقت ودون حركة) . . إنهم يهدون إلىّ صورة عزيزة غابرة . . ها هو القتال يحتدم . . الشهداء يسقطون . . الجنود يتسلقون جدار الحصن كالنمل . . ها قد سقط الحصن . . وهذا هتاف النصر يدوى مخترقا جدار المئين من السنين (ثم ملتفتا نحو الفتاة) . . أرأيت . . أسمعت؟

الفتاة : لا شىء يرى ولا يسمع!

الفتى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .

الفتاة : ما هى إلا هواجس رغباتك الجامحة فى القتل .

الفتى : سحقا للخمول فى خمائل الوردّ.

الفتاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة!

الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) لقد لفحتنى أنفاسهم المحترقة حزنا علىّ .

الفــــتـــاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .

الـفـــــتـى : إذا مات الأموات أدرك الفناء كل شىء .

الفــــتـــاة : إذا أردت الحياة حقا فلا تنظر إلى الوراء .

الـفـــــتـى : ولكن الوراء هو الأمام!

الفــــتـــاة : ولا تنظر إلى الأمام . .

الـفـــــتـى : (يقطب محتجا حائرا) .

الفــــتـــاة : فلتغرق فى عينى توهب خلودا بين الظلمتين!

(قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار).

الـفـــــتـى : أتسمعين استفزازه الساخر؟!

الفــــتـــاة : ريح هوجاء يعربد خلالها الشقاء .

الـفـــــتـى : إنه يتحدانى!

الفــــتـــاة : سأغنى لك أغنية ترقص لها الحمائم فاستمع لى أنا!

الـفـــــتـى : فلتطرب العصافير .

الفــــتـــاة : فلتهنأ بك شهوة الدماء .

الـفـــــتـى : إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء فى صدرى ترابا .

الفــــتـــاة : خير ما تفعل أن تصم أذنيك .

الـفـــــتـى : ولكنى خلقت بأذنين .

الفــــتـــاة : لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .

الـفـــــتـى : يا لها من مناجاة أجهضت همتى . . الوداع . .

الفــــتـــاة : لن تستغنى عنى أبدا .

الـفـــــتـى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شىء .

الفــــتـــاة : لن يطيب شىء بعيدا عن ذراعى .

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد).

الـفـــــتـى : الـــوداع .

الفتاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .

الفتى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .

الفتاة : كلمة أخرى . . لا أريد أن يدركنى اليأس .

(الفتى يضع أصبعيه فى أذنيه. تنظر إليه مليا ثم تمضى إلى الجهة اليمنى).

(الفتى ينظر نحو المصطبة).

الفتى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه الموت !

الصوت ـ الصدى : الموت .

الفتى : ذهبت . . ولكنها لن تذهب بعيدا . . محال أن أتحرر منها كلية . . ولا رغبة لى فى ذلك . . ولا قدرة لى عليه . . ولكنى أريد الحقيقة . .

الصوت ـ الصدى : الحقيقة .

الفتى : أفصحوا . . لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .

الصوت ـ الصدى : الصخور .

الفتى : حدثونى عن الموت والحياة .

الصدى : الحياة .

الفتى : من هو البطل؟

الصدى : البطل .

الفتى : أهو المحارب؟

الصدى : المحارب .

الفتى : أهو المسالم؟

الصدى : المسالم .

الفتى : اللعنة . . اللعنة . . اللعنة . .

(يتحول الفتى عن المصطبة)

: (صائحا) علىّ أن أستعد . . إلىّ بالطبيب . . أيها الطبيب .

(يدخل الطبيب.. بنفس الثياب التجريدية.. ولكنه ذو لحية.. وبيده حقيبة) .

الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .

الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات؟

الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .

الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .

الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .

الفتى : ياه!

الطبيب : إنه الوباء . .

الفتى : هل يوجد وباء؟

الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .

الفتى : قمقم من الغم .

الطبيب : وهو ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .

الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .

الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .

الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .

الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .

الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .
الفتى : ربما ولكنه يستفحل فى البيئات الفقيرة .
الطبيب : استفحل هذه المرة فى البيئات الراقية !
الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .
الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .
الفتى : عندك حق . إنى أعتقد أنى مريض .
الطبيب : إنى مصغ إليك يا سيدى .
الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .
الطبيب : لعلك ترغب فى إجراء كشف عام؟
الفتى : تقريبا .
الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك «تقريبا»؟
الفتى : لا مؤاخذة فهذا ما قصدته بالدقة .
الطبيب : ولِمَ لَم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر؟
الفتى : لاَ تشتد فى محاسبتى على أسلوبى فى الكلام .
الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة؟
الفتى : تقريبا !
الطبيب : عدنا إلى تقريبا !
الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .
الطبيب : فلنفترض ! . . ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة؟
الفتى : طيب ، إنى أرغب فى إجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا إلى الأسلوب .
الطبيب : إنه أول عرض .

الفتى : عرض؟!

الطبيب : إنك تحاور وتداور، ولا تقصد إلى هدفك رأسا.

الفتى : معذرة.

الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء.

الفتى : الوباء!

الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها.

الفتى : لا أفهم شيئا.

الطبيب : غير مهم.

الفتى : ولكنه مرضى أنا.

الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة.

الفتى : فليكن، علينا أن نفهمه على أى حال.

الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه.

الفتى : حسن، فلتحدثنى عن بقية الأعراض.

الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت.

الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها.

الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج؟

الفتى : أنا تحت أمرك.

الطبيب : هذا هو العرض الثانى!

الفتى : أين هو؟

الطبيب : بعد المحاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة وهى «أنا تحت أمرك».

الفتى : ولكنها مجرد مجاملة!

الطبيب : هذا ما يخيل إليك، أما الواقع فإنه العرض الثانى!

الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من أعراض الوباء.

الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم .

الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم . .

الطبيب : (يهز رأسه فى شك وهو صامت)

الفتى : (وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام) إنى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان العلم نصرا .

الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من أعراض الوباء .

الفتى : لست من هؤلاء . . إنى بصفة عامة متعصب للعصر الحديث . .

الطبيب : متعصب؟ !

الفتى : أقصد أننى متحمس للعصر الحديث ، ولا ألتفت نحو الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة !

الطبيب : وهاك عرضا من أعراض الوباء .

الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح؟

الطبيب : إنك لا تدرى عنه شيئا فيما أرى !

الفتى : إنى أجد دوارا فى رأسى !

الطبيب : الصراحة تحدث لك دوارا؟ . . عرض خامس !

الفتى : لعلى بالغت فى التعبير .

الطبيب : من الدوار إلى المبالغة . . عرض سادس !

الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت .

الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت . . عرض سابع !

الفتى : ها . . ها . . ها . .

الطبيب : دوار ، مبالغة ، صمت ، ضحك بلا سبب . . عرض ثامن . .

الفتى : ها . . ها . . ها . . ها . . ها . .

الطبيب : إغراق فى الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء . . عرض تاسع !

الفتى : (يخفى وجهه بين كفيه)

الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .

الفتى : وماذا يمكن أن أفعل؟

الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل أخطر أعراض الوباء .

الفتى : الحق أنك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على إثبات وجود الوباء .

الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم على ، ومعنى ذلك أنك تهادن من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك . . وهذا هو العرض العاشر .

الفتى : إنك تثير غضبى .

الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم . . العرض الحادى عشر .

الفتى : (هازئا) لو لى لا بم .

الطبيب : هذيان لفظى . . العرض الثانى عشر .

الفتى : سيدى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ؟

الطبيب : حصل .

الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن؟

الطبيب : كلا .

الفتى : وكيف تصرفت معه؟

الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .

الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى للخطر!
الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء؟
الطبيب : بلى!!
الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا.
الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد!
الفتى : ألا تتداوى من الداء؟
الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك.
الفتى : وهو؟
الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له، وهو أن تسير إذا سرت على يديك، أن تسمع بعينيك، أن ترى بأذنيك، أن تتذكر بعقلك، وأن تعقل بذاكرتك.
الفتى : يا له من دواء غريب وشاق!
الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب!
الفتى : شكرا لك.
الطبيب : عفوا آن لى أن أذهب.
الفتى : مصحوبا بالسلامة.

(الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى. صوت القهقهة الساخرة يرتفع، الطبيب يتوقف عن السير. يستدير ذاهبا إلى الناحية التى جاء منها ويختفى)

الفتى : آن لهذا الصوت الكريه أن يخمد، ولا حل إلا أن أؤدبه..

صوت من الجهة اليمنى: بل يوجد حل آخر.

(يدخل رجل عملاق بادى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة)

الفتى : من أنت؟

العملاق : صديق .

الفتى : ولكنى لا أعرفك .

العملاق : نحن فى عالم لا نعرف إلا أعداءنا .

الفتى : ولكنى لم أرك من قبل .

العملاق : ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .

الفتى : لا حول ولا قوة إلا بالله .

العملاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة فى عمرك .

الفتى : وماذا تريد؟

العملاق : أن أساعدك .

الفتى : فى أى شىء؟

العملاق : فى قهر عدوك .

الفتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .

العملاق : وهذا يجعل من تقدمى إليك سلوكا جديرا حقا بالصداقة!

الفتى : ومن الذى أرسلك؟

العملاق : قل إنها العناية الإلهية .

الفتى : هذه إجابة عامة ولا تشفى .

العملاق : إذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .

الفتى : وما وظيفتك؟

العملاق : أن أقيم ميزان العدالة .

الفتى : ومن قلدك هذه الوظيفة؟

العملاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .

الفـــــتى : ولكننى لم أسألك المعونة .
العـــمـــلاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجـــودى على كـــثب منك . وربمـــا . .
الفـــــتى : وربمـــا؟
العـــمـــلاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .
الفـــــتى : هذا شأنى على أى حال .
العـــمـــلاق : كـــلا .
الفـــــتى : كـلا؟!
العـــمـــلاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، علىّ أن أنقذك ولو من نفسك .
الفـــــتى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية إلىّ أنا .
العـــمـــلاق : ويرجع إلىّ بحكم وظيفتى .
الفـــــتى : إنى أشكرك ، أرجو ألا تغالى فى اختصاص وظيفتك . ثمـة رجل وقح اعـتـدى علىّ ، ولا مـفـر من أن أؤدبه بنفسى . .
العـــمـــلاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سواى . .
الفـــــتى : لست فى حاجة إلى مساعدتك .
العـــمـــلاق : بل إنك فى مسيس الحاجة إليها :
الفـــــتى : أكـرر الشكر ، ولكننى لا أعـرفك ولا تـربطنى بك صلة حقيقية .
العـــمـــلاق : إنى جزء لا يتـجـزأ من المكان ، لى فيـه رزق وصـهـر ، وتربط أسرتى بأجدادك أواصر مودة قديمة .
الفـــــتى : أجدادى؟! . . إنى أشك فى ذلك .
العـــمـــلاق : من أين لك هذا الشك؟

الفـــــتى : إنى أعرف من كانوا على صلة بهم . .

العـــمـــلاق : لابد أن تفوتك معرفة البعض ، وأسرتى كانت ضمن ذلك البعض .

الفـــــتى : حتى لو صح ذلك فإننى لا أعتبره ملزما لى بقبول مساعدتك .

العـــمـــلاق : إنى أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول لا ملزما له !

الفـــــتى : إذن لا إلزام هناك . .

العـــمـــلاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .

الفـــــتى : إنى أرفض مبدأ الإلزام . .

العـــمـــلاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط عليك من السماء . .

الفـــــتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

العـــمـــلاق : لن تستطيع ذلك وحدك .

الفـــــتى : هذا لا يعنيك فى شىء .

العـــمـــلاق : بل هو كل شىء عندى ، هو وظيفتى فى الحياة .

الفـــــتى : لا شأن لى بوظيفتك .

العـــمـــلاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .

الفـــــتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .

العـــمـــلاق : فكر . . فكر طويلا . . لا ترفض هبة العناية الإلهية .

الفـــــتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

(الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين)

(العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية)

العـــمـــلاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفتاة : شكرا يا سيدى .

العملاق : كنت أذكره بالصلة القديمة التى ربطت بين أسرتى وأجداده .

الفتاة : سمعت كل شىء!

العملاق : إنه ينكر تلك الصلة .

الفتاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .

العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .

الفتاة : كن رفيقا به فهو غاضب .

العملاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى؟

الفتاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة . .

العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .

الفتى : (مخاطبا الفتاة) . . مؤامرة!

الفتاة : معاذ الله .

الفتى : مؤامرة .

الفتاة : افتح له صدرك .

العملاق : أشكرك يا صوت العقل .

الفتى : (للفتاة) إنى أطالبك بالاحترام .

الفتاة : قلبى ملئه الاحترام والحب .

العملاق : لم تعاند محبيك؟

الفتى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .

الفتاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .

الفتى : إنى أطالبك بالانسحاب .

العملاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .

الفتى : (للعملاق) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .

العملاق : سمعا وطاعة .

الفتاة : إنى ذاهبة ما دمت ترغب فى ذلك، ولكنى أتوسل إليك أن تفتح له صدرك .

(الفتاة تذهب)

(فترة صمت يتبادل فيها الرجلان النظرات، العملاق باسما والفتى غاضبا).

العملاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .

الفتى : ألم تستنفد المناقشة؟

العملاق : كلا بعد، افتح لى صدرك، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الفتى : (يتنهد صامتا) .

العملاق : أريد أن أساعدك .

الفتى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك؟

العملاق : إنى صديق ولست بتاجر .

الفتى : حدثنى عما تريد .

العملاق : لا شىء ألبتة .

الفتى : ألبتة؟

العملاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعا .

الفتى : ظروف العمل؟

العملاق : لكى أؤدب عدوك فلابد من استدراجه إلى هنا .

الفتى : إلى مكانى هذا؟

العملاق : نعم .

الفتى : لا يجوز أن يدنس مقامى بقدمه .

العملاق : لا تعط المكان أهمية أكثر مما يستحق .

الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العـــمـــلاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الـفـــــتـى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد؟

العـــمـــلاق : إن باطن الأرض مليء بالعظام وهيهات أن تعرف أين عظام أجدادك بينها .

الـفـــــتـى : هذا رأى من لا أصل له .

العـــمـــلاق : لا تغضب . . ما أردته هو أن أبين لك خطتى فى العمل .

الـفـــــتـى : ولم لا تذهب إليه حيث يقهقه؟

العـــمـــلاق : إنى أعرف ما أريد .

الـفـــــتـى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل؟

العـــمـــلاق : ولكن ليس هذا بكل شيء .

الـفـــــتـى : ثمة شروط أخرى؟

العـــمـــلاق : لا تردد كلمة «شروط» فما أبغضها فى مقام الصداقة .

الـفـــــتـى : طيب . . ماذا تريد أيضا؟

العـــمـــلاق : فى فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .

الـفـــــتـى : مثال ذلك؟

العـــمـــلاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .

الـفـــــتـى : جميل ، ولكن يخيل إلى أن مطالبك لم تنته بعد؟

العـــمـــلاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا!

الـفـــــتـى : فتـاتى؟

العـــمـــلاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع . .

الـفـــــتـى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك؟

العـــمـــلاق : أعنى أننى فى حاجة إلى الحنان قبل المعركة .

الـفـــــتـى : ومـاذا أيضا؟

العملاق : بما أننى سأكون يدك عند الحاجة فمن الإنصاف ألا تتورط فى فعل قبل مشاورتى . .

الفتى : منطق سديد!

العملاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتى فقد يكون لى عدوا .

الفتى : واحد وواحد يساويان اثنين .

العملاق : ولا أن تعادى شخصا قبل الرجوع إلىّ فقد يكون لى صديقا .

الفتى : من يجادل فى ذلك؟

العملاق : هل نبدأ؟

الفتى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بى عدوى أكثر من ذلك؟

العملاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .

الفتى : فاعله؟!

العملاق : قبلة من زوجك غير قبلة من بنت هوى ، وصفعة من والدك غير صفعة من غريب!

الفتى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى؟

العملاق : بدأنا نتفاهم فيما أعتقد .

الفتى : (غاضبا) اغرب عن وجهى .

العملاق : ماذا جرى لك؟

الفتى : اذهب . . اذهب بلا تردد .

العملاق : أين أذهب؟

الفتى : ابعد عن مقامى .

العملاق : ولكنه مقامى أنا أيضا .

الفتى : ماذا قلت؟

العملاق : يا سيدى، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث، وقت يعطينى الحق فى الإقامة، وبالإضافة إلى ذلك نشأت علاقة إنسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة، بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم . .

الفتى : أنت بلطجى . .

العملاق : فليسامحك الله .

الفتى : اذهب بعيدا، لا أريد مساعدتك، وسألقى عدوى وحدى . .

العملاق : عليك فى هذه الحال أن تقاتل اثنين!

الفتى : كيف؟

العملاق : إنك تناصبنى العداء وسأضطر إلى الدفاع عن نفسى . .

الفتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك؟

العملاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى الحياة .

الفتى : لا تستهن بى، لست عملاقا مثلك، ولكننى مصمم على منازلة الموت نفسه .

العملاق : ما دمت تريد الموت فلتمت .

الفتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل .

العملاق : إذن فلتقاتل ولتمت .

(تعود الفتاة مسرعة)

الفتاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت .

الفتى : إنه شر من الآخر .

العملاق : إنه أحمق .

الفتى : إنه من النوع الآخر ولكنه شر منه .

الفتاة : يا للأسف .

الفتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟

الفتى : عندما يختفيان هما وأمثالهما .

الفتاة : كلام قديم معاد .

الفتى : ولكنه حق .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟

العملاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .

الفتاة : (للعملاق) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا شروط؟

العملاق : إنى أبغض كلمة «شروط» .

الفتاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشىء؟

العملاق : لن يكون هذا من العدل فى شىء . .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد . .

(صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد)

(العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودهشة)

العملاق : رباه . . إنى أعرف هذا الصوت .

الفتاة : إنه صوت عدوه .

العملاق : عدوه!

الفتاة : نعم .

العملاق : يا لعجائب المصادفات!

الفتاة : هذا هو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .

العملاق : ها . . ها . . ها .

الفـــتـــاة : ماذا يضحكك؟

العـــمـــلاق : إنه قريبي من ناحية الأم!

الفـــتـــاة : قريبك؟!

العـــمـــلاق : نعم. . يا لذكريات الطفولة السعيدة التي لا تنسى!

الـفـــتـــى : ظننتك تعرف العدو الذي جئت متطوعا لضربه.

العـــمـــلاق : ها. . ها. . ها.

الـفـــتـــى : ألا زلت عند رأيك في مساعدتك؟

العـــمـــلاق : ولكنك رفضت مساعدتي!

الـفـــتـــى : هبني قبلتها فهل تقدمها؟

العـــمـــلاق : مع كافة الشروط التي اشترطتها؟

الـفـــتـــى : لكنك تبغض كلمة «شروط»؟

العـــمـــلاق : نعم أم لا؟

الـفـــتـــى : نعـم.

العـــمـــلاق : في هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما.

الـفـــتـــى : رسول السلام؟

العـــمـــلاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة، ولك.

الـفـــتـــى : وتعهداتك السابقة؟

العـــمـــلاق : للقـربى حقـوق، وإني لا أوفيهـا حقهـا الكامـل بموقفي هذا. .

الـفـــتـــى : ولكنه هو المعتدي؟

العـــمـــلاق : ولـــو!

الـفـــتـــى : وهو في الأصل قاطع طرق ليس إلا؟

العـــمـــلاق : ولـــو!

الـفـــتـــى : إنه وحش ذميم.

العملاق : إنك لا تراه على حقيقته .

الفتى : ألم تسمع قهقهته الساخرة؟

العملاق : هذه هى طريقته فى المزاح، يا له من شاب خفيف الروح حقا!

الفتى : ولكنى أعرفه حق المعرفة، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .

العملاق : صدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبه ويفهمه .

الفتى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .

العملاق : أحمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .

الفتى : ولـم؟

العملاق : كنت سأهرع إلى نجدته .

الفتى : ها أنت تهددنى .

العملاق : للقرابة حقوق .

الفتى : تجلت الحقيقة، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .

العملاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود إلى الهلاك .

الفتى : لا تضيع وقتى هباء .

العملاق : تصرف بوقتك كما تشاء .

الفتى : سأسوى حسابى بنفسى .

العملاق : أنت تعلم أن هذا الكلام لا معنى له، وقد وضحت لك أهداف وظيفتى . .

الفتى : اللعنـة!

العملاق : إنى صديقك أردت أم لم ترد، وإنى قريبه قبلت ذلك أم لم تقبله، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة، فواجبى أن

أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم.

الفـــــتى : كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم..

العـــمـــلاق : (مخاطبا الفتاة).. تكلمى أنت.

الفـــتـــاة : لم يعد عندى من جديد أقوله.

الفـــتى : اعترفى بأننى على حق.

الفـــتـــاة : أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب.

العـــمـــلاق : كم أنك حكيمة!

الفـــتى : كم أنك أنانية.

الفـــتـــاة : الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية.

الفـــتى : الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء.

الفـــتـــاة : ليتك تؤمن بالحب.

الفـــتى : لا حياة للحب بين الوحوش.

الفـــتـــاة : الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس إلا لمن يؤمن به.

الفـــتى : للوحوش لغة أخرى.

الفـــتـــاة : أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم.

الفـــتى : الكرامة أهم من الحياة نفسها.

الفـــتـــاة : الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب..

العـــمـــلاق : (مخاطبا الفتى).. من المؤسف أنك تحب الموت أكثر مما تحب فتاتك الجميلة الحكيمة.

الفـــتى : الموت أحب إلىّ من الخضوع لإرادتك.

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد).

العـــمـــلاق : يا له من فتى ضُحوك، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة!

الفتى : إنك لئيم بقدر ما أنت قوى .

العملاق : أمامك عملاقان، ووراءك حياة طيبة ، فارجع إلى الوراء .

الفتى : إلى الأمام .

العملاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن الجدل يغريه بالعناد والمكابرة .

(العملاق والفتاة يخرجان من بابين متقاربين فى الناحية اليمنى)..

(الفتى يتفكر قليلا.. ينظر ناحية المصطبة المسربلة فى الظلام).

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .

الصدى : تنطقوا .

(الفتى يلوح بيده غاضبا.. يذهب ويجىء متفكرا.. يدخل رجل أعمى يتحسس طريقه بعكاز، يتصنت مائلا برأسه نحو الفتى)

الشحاذ : هل يوجد أحد هنا؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : أنت الذى ناديتنى؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطئ .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد أنت؟

الفتى : ألست شحاذا؟

الشحاذ : بلى .

الفتى : لعلك تريد إحسانا؟

الشحاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية، فماذا تريد أنت؟
الفتى : لا أريد شيئا .
الشحاذ : كذب!
الفتى : شحاذ ووقح .
الشحاذ : لم تشتمنى؟
الفتى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب؟
الشحاذ : لأنك كذاب!

(الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام عجزه)

الفتى : اذهب قبل أن أكسر رأسك .
الشحاذ : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى؟ وماذا تريد منى؟
الفتى : اذهب أحسن لك .
الشحاذ : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد .
الفتى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه؟
الشحاذ : اطلب ما تشاء .
الفتى : (ضاحكا رغما عنه) إنى مدين لك بأول ضحكة فى يومى .
الشحاذ : هذا قليل من كثير مما عندى .
الفتى : يخيل إلىّ أنك غنى .
الشحاذ : جدا .
الفتى : ماذا تملك؟
الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .
الفتى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك، وكان ينبغى أن تجد ملجأ يؤويك .
الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .

الفتى : ولم تركته؟

الشحاذ : رُفتُّ!

الفتى : (ضاحكا) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين!

الشحاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .

الفتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أي حال؟

الشحاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس المتمردين!

الفتى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى؟

الشحاذ : نعم .

الفتى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول والتشرد؟

الشحاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه!

الفتى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف!!

الشحاذ : أعرف أشياء كثيرة .

الفتى : مثل ماذا؟

الشحاذ : أن أرى بأذنى .

الفتى : وماذا أيضا؟

الشحاذ : وأن أسير على يدى!

الفتى : أنت ترى بأذنيك وتسير على يديك!

الشحاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة أخرى إلى الملجأ .

الفتى : إلى الوحش؟

الشحاذ : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم . .

الفتى : وكيف تركته بعد ذلك؟

الشحاذ : هربت!

الفتى : غير معقول .
الشحاذ : كان عادلا وأمينا ورحيما ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس، ويطبقه بدقة فلكية، ولا يقبل مراجعة . .
الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة . .
الشحاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و«ولا مؤاخذة» بميعاد والنوم بميعاد، فكدت أن أجن . .
الفتى : وتمردت مرة أخرى؟
الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل عادل أمين رحيم .
الفتى : كان عليك أن ترضى . .
الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه!
الفتى : التمرد ليس خيرا فى ذاته .
الشحاذ : ولكنه خير من أن تكون حجرا .
الفتى : وهكذا هربت؟
الشحاذ : هكذا هربت .
الفتى : إلى التراب والحشرات واللقمة العفنة!
الشحاذ : إلى سعادتى الحقيقية .
الفتى : حديثك مثير وعجيب .
الشحاذ : فتك بعافية .

(الشحاذ يتحرك)

الفتى : انتظر . .

(الشحاذ يستمر فى سيره)

الفتى : ألا تريد أن تسمعنى؟

(يمضى الشحاذ حتى يختفى)

(يعود العملاق.. تعود الفتاة)

الفتـــــاة : قلبي طيلة الوقت معك .

العمـــلاق : لعلك اقتنعت برأيي .

الفتـــى : أيها السيد الذي يحب الشر ، ويحب الخير أحيانا لحساب الشر .

أيتها السيدة التي تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا لحساب الخير .

إليكما رأيي النهائي .

سأصون كرامتي حتى الموت .

الفتـــــاة : (تخفي وجهها بين يديها وستظل كذلك إلى ما قبل النهاية)

العمـــلاق : شعار الوباء الذي فتك بملايين الحمقى . .

الفتـــى : ينابيع الحياة الحقة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التي تذبل فيها معاني الأشياء ، إني ذاهب . .

(القهقهة الساخرة ترتفع)

(الفتى يتحول نحوها في تصميم ويتقدم. العملاق يثب نحوه. الفتى يدفعه. العملاق يقبض على كتفيه ويدفع به نحو المصطبة. الفتى يندفع حتى يغيب في الظلمة، الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا.

وكأن حركته أيقظت الرقود وشدتهم من رقادهم. يتدحرج أولهم حتى يصل إلى مقدم المسرح وينهض في تثاقل كمن يقوم من نوم. يتبعه آخر مكررا نفس الحركة. ويتتابع كثيرون. رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح.

العملاق يتزحـزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل المفضى
إلى القهقهة الساخرة.
تتم يقظة الجميع. تنتصب قامتهم. يرتسم العزم فى وجوههم.
يجرى ذلك فى تمـثيل صاست. يسيـر الفتى نحو ناحيـة عدوه
وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة. يمضون خلفه
فى عزم صلب حتى يختفوا جميعا. ضربات أقدامهم ما زالت
تترامى)

الفـــــتـــــاة : (ترفع يديها عن وجههـا.. تصغى بحزن.. وترمى بنظرها إلى
بعيد).

التـــــــركـــــة

(حجرة انتظار فى بيت ولى الله)

(حجرة ذات طابع عتيق. فى الصدر كونصول. باب إلى اليمين وآخر إلى اليسار، تصطف بجوانبها كنبات تفصل بينها كراسى. ثمة حصُر مزركشة معلقة على الجدران فى مواضع محددة)

(يدخل فتى وفتاة. يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لأول مرة، ثم يقفان فى الوسط)

* * *

الفتى : البيت صامت كأنه قبر .

الفتاة : صفق لتشعرهم بوجودك .

الفتى : إنه يكره ذلك ، مازلت أذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفتاة : بيتكم قديم ، والحوارى المفضية إليه شقت فيما يبدو من عهد نوح .

الفتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحوارى كسائحة .

الفتاة : تأدب ، المفروض أننا مهذبون .

(صمت قصير)

الفتى : لِمَ دعانى يا ترى؟

الفتاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .
الفتى : ظننت أن الماضى لن يعود .
الفتاة : الحاضر يمضى والماضى يعود، ولا ينبغى لرجل مذنب أن ييأس فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .
الفتى : ألم تحلمى يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك؟
الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى .

(الفتى يبتسم من خلال ثوانٍ من الصمت)

الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذلك الفراق الطويل؟
الفتاة : إنك وحيده وللقلب حنينه، ومن يدرى فلعلك . . .
الفتى : لعلى؟
الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .
الفتى : طردنى يافعا ولا مليم فى جيبى .
الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين؟
الفتى : تشردت وجعت ولولا . . .
الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .
الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .
الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .
الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .
الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .
الفتى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .
الفتاة : حتى تضحك على الرجل .
الفتى : العبى دور الزوجة بإتقان .
الفتاة : كان عليك أن تجىء وحدك وتتركنى فى سلام .
الفتى : لئن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزّاب .

الفتاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .

الفتى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .

الفتاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمارة وأنك مغامر؟!

الفتى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أبيك المرحوم .

الفتاة : تدفعنى إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .

الفتى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، ونقدم بذلك الدليل على صدق علاقتنا الزوجية .

(صمت)

الفتاة : آه لو يتحقق حلم الثروة!

الفتى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلى عالمى .

الفتاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولى!

(يكور لها قبضة يده مهددا فتتراجع خطوة وهى تضحك دون إحداث صوت)

الفتاة : الحق أن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .

الفتى : أجل .

الفتاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .

الفتى : أناس هذه الأحياء طيبون!

الفتاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .

الفتى : إنهم يرون فى الحاوى معجزة .

الفتاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .

الفتى : جميع هؤلاء يجيئون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .

الفــــتــــاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .

الـفــــتـى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .

الفــــتــــاة : وأنت ، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى؟

الـفــــتـى : كفى عن الثرثرة ، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .

الفــــتــــاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .

الـفــــتـى : هنا . . هنا ثروة طائلة !

الفــــتــــاة : هنـــا؟

الـفــــتـى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .

الفــــتــــاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .

الـفــــتـى : ولكن ثمة خطرا أفظع من الضرائب .

الفــــتــــاة : مــاذا تعنـــى؟

الـفــــتـى : أعنى من يقومون بخدمته .

الفــــتــــاة : من يخدم أولياء الله؟

الـفــــتـى : الشـــياطين !

الفــــتــــاة : هل تعنى ما تقول؟

الـفــــتـى : أعنى شياطين الأرض .

الفــــتــــاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع الشياطين ، هل لك امرأة أب؟

الـفــــتـى : ماتت من زمن بعيد .

الفــــتــــاة : أهو طاعن فى السن؟

الـفــــتـى : جدا .

الفــــتــــاة : هذا يبشر بالخير !

الفتى : لا تحلمى، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله.

الفتاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر أكثر من ذلك، عليك أن تقابله.

الفتى : بل علينا أن ننتظر، إنى أعرف طبعه.

(صمت. يمشيان ذهابا وجيئة)

(يفتح الباب إلى اليسار. يدخل غلام حاملا مبخرة. غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا. يدور فى الحجرة حارقا البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة ودون أن ينبس بكلمة. يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب وهما يتابعانه بعينيهما)

الفتى : يا غلام.

(الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتهما)

: هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ؟

الغلام : الناس جميعا يقومون على خدمته.

الفتى : وماذا تفعل أنت؟

الغلام : إنى خادم البيت.

الفتى : أنا ابن مولاك.

الغلام : أعرف ذلك يا سيدى.

الفتى : وكيف عرفتنى؟

(الغلام لا يجيب)

: لمَ لا تجيب؟

الغلام : لَقد أجبت يا سيدى.

الفتى : (باسما) طيب.. لقد جئت ملبيا دعوته.

الغلام : أعرف ذلك يا سيدى.

الفتى : ألا تدرى متى يدعونى إلى لقائه؟

الغلام : لقد كلفنى مولاى أن أخبرك...

الفـــــتى : (مقاطعا) إنى أسألك متى يلقانى؟

الغـــــلام : لقــد ذهــب .

الفـــــتى : أين؟ . . ومتى؟

الغـــــلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .

الفـــــتى : ومتى يعــود؟

الغـــــلام : لــن يعــود .

الفـــــتى : أنت تهذى يا غلام .

الغـــــلام : سامحك الله يا سيدى .

الفـــــتى : ولمَ لن يعود؟

الغـــــلام : (محَنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب إلى لقاء ربه .

الفـــتـــاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر؟

الغـــــلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .

الفـــــتى : ولمَ لم يبق فى فراشه؟

الغـــــلام : نذَر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء .

الفـــــتى : ولكنك تعرف مكانه؟

الغـــــلام : كـــلا .

الفـــــتى : ولماذا دعانى؟

الغـــــلام : دعاك لتعود إلى بيتك القديم .

الفـــــتى : وهل حملك رسالة إلىّ؟

الغـــــلام : قال : دنا الأجل ، آن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة .

الفـــــتى : التـركـــة؟!

الغـــــلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشدك .

الفـــــتى : ليرحمه الله . . أعنى ليمد الله فى عمره .

الفتاة : وأين التركة يا شاطر؟

الغلام : قال سيجيء غارقا فى الضلال صاحبا معه قرينة سوء .

(صمت مع تبادل نظرات)

الفتاة : هذا يعنى أنها أيضا فى حاجة إلى نصيب من تركته .

الفتى : ومتى تسلمنا التركة؟

(الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط إلى يمين الكونصول)

الغلام : التركة فى خزانة وراء الحصيرة . . هاك المفتاح يا سيدى .

(يتناول الفتى المفتاح ويمضى إلى الحصيرة. يهم الغلام بمغادرة الحجرة. الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده)

الفتاة : ابق حتى نتسلم التركة .

(الفتى يزيح الحصيرة. يفتح الخزانة. يأخذ فى إخراج كتب صفراء. ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبة)

الفتى : الحق . . مدارج الروح . . سلام القلب .

(يستمر فى إخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبة ويتهاوى بعضها على الأرض)

الفتى : أين التركة؟

الفتاة : (للغلام) أنت سرقتها!

الغلام : سامحك الله .

الفتى : (مواصلا إخراج الكتب) أين التركة؟

الغلام : لا علم لى بما فى الخزانة .

الفتى : كان المفتاح معك .

الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت .

(الفتى يواصل إخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى)

الفــــتى : التـــركـــة!

(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفــــتـــاة : ثروة طائلة.

الفــــتى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك!

الغــــلام : إنه يوصيك بألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب.

الفــــتـــاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود.

الغــــلام : تلك كانت وصيته.

الفــــتى : شكرا يا غلام، يمكنك أن تنصرف إذا شئت.

الغــــلام : والتركـــة؟

الفــــتى : هل ثمة تركة أخرى؟

الغــــلام : (مشيرا إلى الكتب) إنما أعنى هذه التركة.

الفــــتى : ستنفذ الوصية بأمانة.

(الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب)

الغــــلام : ارفعـى قدمـك.

الفــــتـــاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر.

الغــــلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها.

الفــــتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين.

(الغلام يعيـد الكتب إلى الخزانة. يحملها باحـترام وهو يبكى صامتا. ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة)

الغــــلام : إنى ذاهـــب.

الفــــتى : مصحوبا بالسلامة.

(ثم مستدركا)

: انتظر ، أنت غلام طيب ، تحب أن تشتغل عندى؟

الغلام : أى شغلة يا سيدى؟

الفتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا .

الغلام : فى مقهى .

الفتى : خمارة ، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه .

الغلام : إنى ذاهب يا سيدى .

الفتاة : مع السلامة .

(الغلام يذهب)

الفتاة : ألا ترى أن نفتشه قبل أن يرحل؟

الفتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة .

الفتاة : علينا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود .

الفتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق .

الفتاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله .

الفتى : الأفضل بيعه ، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهبا لو بيع أرضا .

الفتاة : واشتر بالثمن عمارة ، ولنبع الخمارة أيضا لنعيش أحراراً كأبناء الذوات .

الفتى : أفكار طائشة ، سوف أنشئ ملهى ليليا يضاهى الأوبرج . .

(يظهر رجل عند الباب الأيمن. يلبس جلبابا ومعطفا وهو ذو قامة ضخمة، وطابع رسمى كالمخبرين. يتقدم خطوات حتى يصير على مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة. يجيل فى المكان نظرة فاحصة، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك؟

الرجل : هل أنت ابن ولى الله؟

الفتى : نعم ولكن من حضرتك؟

الرجل : مخبر من قوات الشرطة .

الفتى : أكنت على موعد مع الشيخ؟

الرجل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .

الفتى : كيف عرفت ذلك؟

الرجل : أسلم الروح فى الخلاء ، فيما وراء مسكنى ، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الفتى : وأين جثمانه؟

الرجل : فى المثوى الذى سنمضى إليه جميعا ، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك ، ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الفتى : وماذا تريد حضرتك؟

الرجل : جئت لأذهب بك إلى القسم .

الفتى : لماذا؟

الرجل : أنت متهم بقتل أبيك .

الفتى : دعابة ولكنها ثقيلة .

الفتاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .

الرجل : أنت متهم بقتل أبيك .

الفتى : كف عن ترديد هذا السخف .

الرجل : شهدته وهو يحتضر ، وأنا أعرفه منذ قديم ، صرح لى قبل صعود روحه بأنك قتلته!

الفتى : محض افتراء وهذيان .

الرجل : الميت لا يكذب ، وهو ولى من أولياء الله .

الفتى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .

الرجل : قال «إنى أموت مطعونا بيد ابنى الوحيد» .

الفتاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .

الفتى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة؟

الرجل : لنترك ذلك إلى التحقيق .

الفتى : أى تحقيق يا رجل؟ إنى لم أره منذ عشرات السنين .

الرجل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه؟

الفتى : المال ميراثى الشرعى .

الرجل : هل علمت بوفاته؟

الفتى : كلا .

الرجل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهو حى فى ظنك؟

الفتى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .

الرجل : أين غلامه؟

الفتاة : ذهب .

الرجل : استدعه ليدلى بأقواله .

الفتى : لا أدرى أين ذهب .

الرجل : هلم معى إلى القسم .

الفتى : لا جريمة هناك ألبتة .

الرجل : قتلت أباك وسرقت الدولة .

الفتى : الدولة؟

الرجل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه؟

الفتى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد!

الرجل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفتى : أؤكد لك أن التحقيق سيسفر عن براءتى .
الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .
الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه؟
الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة!
الرجل : إنك رجل شرير .
الفتى : أنت متحامل وسيئ الظن .
الرجل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .
الفتى : أنا تاجر شريف .
الرجل : هلم معى ولا تدفعنى إلى الضحك فى بيت ميت .
الفتاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .
الرجل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة!
الفتاة : أنا؟!
الرجل : أنت شريكته فى الجريمتين .
الفتى : أنا برىء (يتناول رزمة من النقود ويضعها فى يد الرجل) وهذا المال مالى .
الرجل : أترشونى يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة؟
الفتى : معاذ الله، ولكننى أؤدى حق الدولة علىّ .
الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة .
(الفتى يعطيه رزمة أخرى)
الفتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .
الرجل : والقضية وتكاليفها؟ . . والتحفظ على المال وتعرضه للضياع؟ .
الفتى : أعتقد أننى أعطيت ما فيه الكفاية .

الرجل : أتعاب المحاماة؟ . . الرسوم؟ . . سجنك؟ . . تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران؟

(الفتى يعطيه رزمة ثالثة)

الفتى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .

الرجل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك . .

(صمت وتبادل نظرات حائرة)

الرجل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد؟

الفتاة : إنى زوجته .

الرجل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .

الفتى : لقد أعطيت فدية لكلينا .

الرجل : بل فدية لك وحدك!

الفتى : ماذا تريد؟

الرجل : الأتعاب الخاصة بالسيدة .

(يعطيه رزمة رابعة)

الفتى : هاك رزمة رابعة .

الرجل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .

الفتى : أتريد أن تستولى على نصف التركة؟

الرجل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك .

(يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة)

الفتى : تفضل مصحوبا بالسلامة .

(الرجل يدير ظهره ليذهب. الفتى يسل من ملابسه مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل. الرجل حذر وكان يتوقع حركة غادرة فيتفادى من الطعنة ويقبض على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض.)

يجيء بكرسى فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه حبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمة، وهو يهدد الفتاة بأنها إذا ندت عنها حركة أو صوت فسوف يساقان إلى القسم. ثم يجيء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مهددا ويكبلها بحبل آخر. يتجه نحو النقود على الخوان فيستولى عليها ثم يلفها فى الحصيرة. يلقى عليهما نظرة ثم يذهب).

(الفتى يفيق من أثر اللكمة. ينظر فيما حوله. يتذكر ما وقع. يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الفتى : ذهب؟

الفتاة : بعد أن استولى على النقود كلها . . .

الفتى : (غاضبا) لِمَ لَم تصوتى؟ . . كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا .

(يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة)

الفتى : سأقتله ولو اختفى فى بلاد الواق .

الفتاة : تهورك هو المسئول عما حل بنا ، لِمَ حاولت الهجوم عليه؟

الفتى : ليس من مبادئى أن أسمح لإنسان باستغفالى .

الفتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الفتى : سيكون التنكيل به هو هدفى الأول فى الحياة .

الفتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .

الفتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .

الفتاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .

الفتى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .

الفـــتـــاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .

الـفـــــتى : ويعز على أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .

الفـــتـــاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك .

الـفـــــتى : لم يعبث بى أحد من قبل .

الفـــتـــاة : ها قد عبث بك كأنك لا شىء .

الـفـــــتى : أين المفر؟ . . إنه يعمل فى دائرة هذا القسم .

الفـــتـــاة : إذا كان حقا مخبرا .

الـفـــــتى : ولمَ لا يكون مخبرا؟

الفـــتـــاة : كان يجب أن تطالبه بإبراز بطاقته الشخصية .

الـفـــــتى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .

الفـــتـــاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إله ثم تقع كالرطل .

الـفـــــتى : كيف أصدق ما حصل؟

الفـــتـــاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .

الـفـــــتى : هو مجرم محترف على أى حال .

الفـــتـــاة : ويخيل إلىّ . . ربما لم يكن إنسانا أيضا!

الـفـــــتى : مـاذا تعـنين؟

الفـــتـــاة : أعنى أننـا فى بيـت ولـى : وهـو وكـر للأرواح والشياطين .

الـفـــــتى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .

الفـــتـــاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .

الـفـــــتى : جاء كما يجىء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .

الفـــتـــاة : أنت لا تحسن الرؤيا عند الانفعال .

الـفـــــتى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .

الفتـــاة : لنفكر فى حالنا، نحن مقيدان بطريقة جهنمية، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد، الجو هنا لا أرتاح إليه. فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها.

الفتـــى : يا مجنونة، يا مخرفة، ما هذا الهذيان؟

الفتـــاة : أنا خائفة.

الفتـــى : عهدتك دائما عربيدة ساخرة فكيف خانتك جرأتك الداعرة؟

الفتـــاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك؟ جثة أبيك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول، ولم ينبس المخبر - إذا كان حقا مخبرا - بكلمة، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير، ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا، وهناك الأرواح.

الفتـــى : الأرواح!

الفتـــاة : أنا خائفة..

الفتـــى : كيف قيدنا بهذا الإحكام؟.. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل.

الفتـــاة : وقد يرجع للإجهاز علينا.

الفتـــى : فليرجع.

(صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى)

الفتـــاة : كأننا فى حلم.

الفتـــى : ولكنه أسخف من الحقيقة.

الفتـــاة : أحيانا يكاد يغلبنى الضحك .

الفتـــى : اضحكى إن استطعت .

الفتـــاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء أخف وطأة من هذا السجن فى بيت أبيك .

الفتـــى : ليرحمه الله .

الفتـــاة : ادعه أن ينقذنا .

الفتـــى : (ساخرا) أبانا الذى فى المشرحة . . أنقذ ابنك الوحيد .

الفتـــاة : ماذا كان رأيك فى أبيك؟

الفتـــى : كان دجالا كوحيده .

الفتـــاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .

الفتـــى : حارة مخبولة مسطولة .

الفتـــاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .

الفتـــى : ردى إلىّ ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .

الفتـــاة : لم نكن فقراء ، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .

الفتـــى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هى ملتقى للمغامرين ، واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة ، فى حى مكتظ بالأعداء ، ووراء ذلك كله إحساس ثابت بالمطاردة؟! . . كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله .

(دقيقة صمت)

الفتـــاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .

الفتـــى : لا فرق بين النور والظلام .

الفتـــاة : كيف نخرج من هذا المأزق؟

الفتـــى : اصرخى . . صوتك أحد من الرصاصة .

الفـتـاة : لن يسمعنا أحد .
الـفـتـى : علينا أن ننتظر حتى يجىء إنقاذ من حيث لا ننتظر أو يجىء الموت .
(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)
الفـتـاة : لمَ دعاك أبوك؟
الـفـتـى : مَات سره معه .
الفـتـاة : ماذا ظننت؟
الـفـتـى : قلت لعله حنين قلب عجوز .
الفـتـاة : لم تقل كل الحق .
الـفـتـى : وحلمت بثروة!
الفـتـاة : وقد وهبك ثروة .
الـفـتـى : وضاعت .
الفـتـاة : ولكنه أراد أن ترث عمله .
الـفـتـى : فكرة سخيفة .
الفـتـاة : كان يجب أن تجاريه ولو فى الظاهر .
الـفـتـى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .
الفـتـاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .
الـفـتـى : أراهن على أنك فقدت عقلك .
الفـتـاة : هل حاول أن يلقنك سره وأنت صغير؟
الـفـتـى : نعـم .
الفـتـاة : ولكنك عصيته؟
الـفـتـى : لو أطعته ما صادفتنى فى طريقك أبدا .
الفـتـاة : (تضحك.. ولا تنبس)
الـفـتـى : حاول معى كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكى المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى . . .

الفـــــتـــاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة .

الـفــــــتـى : ورثت عنه الدجل لأستثمره فى مجاله الطبيعى .

الفـــــتـــاة : لم أسمع أحدا يثنى عليه مثلك .

الـفــــــتـى : إنى أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .

الفـــــتـــاة : رأسى يدور .

الـفــــــتـى : الحياة الحقة نقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شىء ولكن لابد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدين؟

الفـــــتـــاة : أن أخرج من هنا سالمة .

الـفــــــتـى : سنخرج عاجلا أو آجلا .

الفـــــتـــاة : عما قليل سيجىء الظلام .

الـفــــــتـى : فليجىء الظلام .

الفـــــتـــاة : أنت المسئول عما وقع .

الـفــــــتـى : أنت جبانة .

الفـــــتـــاة : وأنت وغد .

الـفــــــتـى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفـــــتـــاة : أو حتى يحل بنا الموت .

الـفــــــتـى : أو حتى يحل بنا الموت .

(الفتاة تبكى من القهر. وهو يضحك ضحكة عصبية).

الفـــــتـــاة : إنه يؤدبك .

الـفــــــتـى : مــن؟

الفـــــتـــاة : أبــوك .

الـفــــــتـى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .

الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .

الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شيء .

الفتاة : وها قد وقعنا في الفخ .

الفتى : فخ لم ينصبه أحد ولكنا وقعنا بسوء تصرفنا .

(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء. لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)

الفتاة : بدأ الليل يهبط . .

الفتى : ليس في وسع شيء أن يمنعه .

الفتاة : كان في وسعنا على الأقل . . .

الفتى : **(مقاطعا في تهكم)** كان يا ما كان . .

الفتاة : أكره الظلام ، أكره الأغلال ، وسوف أجن .

الفتى : جربي الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أي حال .

الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبي !

الفتى : عودي إلى توازنك لنتفاهم كما تفاهمنا دائما .

الفتاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر ، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .

الفتى : لم يكن ثمة فردوس في الماضي ، ولن يكون ثمة فردوس في المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هي .

الفتاة : الظلام يتمادى في الاقتراب .

الفتى : فليأت الظلام .

الفتاة : إنك تداري خوفك باللعب بالألفاظ .

الفتى : اللعنة . . في هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط في الخمارة .

الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة !

(يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام الحجرة ويختفى الفتى والفتاة. الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت)

الفتاة : ألا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا؟

الفتى : لا أحفظ شيئا.

الفتاة : إنى خائفة.

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف.

الفتاة : ولكنى خائفة.

الفتى : أنا قريب منك.

الفتاة : ولكنى لا أراك.

الفتى : فلنغن أغنية بذيئة لنهزأ بالظلام.

(الفتاة تصرخ. صمت يتخلله بكاء خافت. ضوء يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى اليسار)

الفتاة : ألا ترى؟ . . نور فى الداخل، يوجد شخص، البيت مسكون!

الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل؟

الفتاة : مفاصلى سابت.

الفتى : من بالداخل؟

(يفتح الباب. يظهر الغلام وبيده مصباح. يتقدم ثم يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة!

: أنت! . . أكنت بالداخل طيلة الوقت؟

الغلام : ظننت أنكما ذهبتما.

الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال؟

الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسيكما؟

الفتاة : هل تسخر منا يا غلام؟!

الفـــتى : أكنت موجودا بالداخل؟ . . أعنى ألم تغادر البيت؟
الغــلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .
الفـــتى : لمـــاذا؟
الغــلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .
الفـــتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا .
(الغلام يمضى إلى الكونصول فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب)
: يا غـــلام .
(الغلام يتوقف)
: تعـــال .
الغــلام : ماذا تريد يا سيدى؟
الفـــتى : كيف لا تدرى ماذا نريد؟
الغــلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا أهملت تركته .
الفـــتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .
الغــلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاى أمرا .
الفـــتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبيل .
الفـــتى : وأنا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا المأزق .
الغــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
الفـــتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .
الغــلام : سامحك الله .
الفـــتاة : لص أثيم نهب ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .
الغــلام : علىّ أن أذهب .

الفتى : لا تغضب مولاك فى قبره .

الغلام : مولاى ارتفع إلى السماء .

الفتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .

الغلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .

الفتى : أتعتقد أنه يرضيه أن نترك هكذا بدون مساعدة؟

الغلام : لا أدرى .

الفتى : أؤكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .

الغلام : لا أدرى .

الفتى : أقدم ولا تخف .

الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

الفتاة : من أجل خاطرى ، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .

الغلام : إنى ذاهب .

الفتى : انتظر ، . . ألا ترى ، إنى أريد تركة أبى الحقيقية .

الغلام : أنت تعلم بمكانها .

الفتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال إليها .

الغلام : سبق أن نبذتها .

الفتى : أنا نادم على ذلك!

الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

(الغلام يستأنف السير)

الفتاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة .

(الغلام يواصل السير دون مبالاة)

الفتى : هل ستبلغ الشرطة؟

الغلام : كلا .

(الغلام يختفى ثم يغلق الباب)

الـفـــــــتـى : ملعون ابن معلون . .

(الفتاة تعاود البكاء)

الـفـــــــتـى : كفى . . كفى وإلا . .

الفـــتـــاة : قضى علينا بالهلاك .

الـفـــــــتـى : لقـد رجـع إلغـلام، وربما رجع مرة أخرى، ولعل غيره يجيء.

(صمت قصير ثم يواصل حديثه)

الـفـــــــتـى : يخيل إلىّ أن العـجـوز استدرجنى إلى بيته لينكل بى. الطيبة كانت حرفته لا طبيعته، وآى ذلك أننى منحدر من صلبه، غيـر معقول أن تكون أمى مسئـولة وحـدها عن دمى العــربيــد، ولـبـيت نداءه وأنا فى غــفلة من مكره فتتابعت الأخطاء .

الفـــتـــاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون!

الـفـــــــتـى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة فى الشر .

الفـــتـــاة : ليس الغـلام غـلاما ولا المخبر مـخبرا . . وسـوف تقع كوارث ليست فى الحسبان .

الـفـــــــتـى : فلتقع الكوارث بغير حساب .

(صمت.. ثم تنزل الستار)

* * *

ترفع الستار . ضـوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصـباح مازال مـشتـعلا. الفـتى والفـتاة نائمـان ورأسـاهما مطروحـان على مسندى الكرسيين.

يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو يغلق.

يدخل رجل ضـخم أنيق الملبس ولكنا نعـرف فيـه المخبـر فى

ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة.
الفتى والفتاة يستيقظان. يبدو عليهما الإرهاق. ينظران إلى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم.

الضابط : من أنتما؟ . . من فعل بكما ذلك؟

الفتى : من حضرتك؟

الضابط : ضابط النقطة .

الفتاة : أنقذنا من فضلك .

(الضابط يحل وثاقهما. يقفان وهما يتأوهان. يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)

الضابط : من أنتما؟

الفتى : أنا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى .

الفتاة : وأنا الزوجة .

الضابط : ماذا حدث لكما؟

الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .

الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل .

الفتى : هل أبلغك الغلام عنا؟

الضابط : أى غلام؟

الفتى : غلام الشيخ المتوفى .

الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له!

(الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح فى وجهيهما الدهشة والانزعاج. يتبادلان النظرات ثم يحدقان فى المهندس بذهول)

الضابط : مالك؟

المهندس : لماذا تنظران إلىَّ هكذا؟

الفتى : أنت!

الفتاة : هو . . جسمه وصوته ووجهه .

المهندس : ماذا تعنيان؟

الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم!

(ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان بينهما. المهندس يتراجع دهشا مستنكرا)

الضابط : أى مجرم تعنى؟ . . المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .

الفتى : هو المخبر . . هو اللص . . هو الذى سرقنا . .

(المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)

الضابط : اضبط لسانك .

السكرتير : يا لها من نكتة!

الفتاة : هو المخبر .

الفتى : هو المجرم

الضابط : كفى هذيانا!

المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا ليلتهما فى هذا البيت .

الفتى : لا تحاول خداعى .

الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات فى ميدان الهندسة .

(الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)

الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه؟

الضابط : كلا على وجه اليقين .

المهندس : تمالك نفسك من فضلك، لقد عانيت ليلة غاية فى السوء، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما يماثلنى فى بعض الصفات والخصائص، وأنت نفسك تماثل المرحوم أباك فى بعض ملامحه رغم تناقض منهجكما فى الحياة فيما يبدو لى، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد إليك مالك، هل فقدت مالا كثيرا؟

الفتى : أنت أدرى بمقداره.

الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى!

الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذى اعتدى علينا.

الضابط : كف عن هذيانك، من صالحك أن تكف عنه.

السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر فى نفوس الشباب، فإذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقده الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط الناجح من الرجال الممتازين فى المجتمع.

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان؟

الفتى : إنى ضحية وقد حللت بنفسك وثاقى.

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد.

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز مهمتى.

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك؟

المهندس : إنى أرغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الإلكترونية.

الفـــتـــاة : ألم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته؟

المـهـنـدس : حـاولـت وعـرضت عليـه بيـتـا جـديـدا فى مطلع الحى، ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها!

الـفــتـى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه؟

المـهـنـدس : وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا!

الـفــتـى : أنت إذن . .

(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكملة كلامه، وتنتحى به جانبا)

الفـــتـــاة : تمالك نفسك

الـفــتـى : لكنه هو عينه .

الفـــتـــاة : لندع ذلك للتحقيق، المهم الآن بيع البيت .

الـفــتـى : سيشترى بمالى .

الفـــتـــاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص .

الـفــتـى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى!

الفـــتـــاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك .

(يعودان إلى الجماعة)

الفـــتـــاة : اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى أبيه الطيب!

المـهـنـدس : ليرحمه الله رحمة واسعة .

الـفــتـى : أكنت تؤمن به؟

المـهـنـدس : كنت أحبه .

الـفــتـى : هل شهدت احتضاره؟

المـهـنـدس : لكننى مشيت فى جنازته، أين كنت أنت؟

الفتى : كنت موثقا بحبال المجرم الأثيم.

المهندس : حضرة الضابط كفيل باسترداد ثروتك الضائعة، وما عليك الآن إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التى بشر بها أبوك.

الفتى : ولكنك لم تؤمن به؟

المهندس : (ضاحكا) كان يقول لى «الطمأنينة هى هدف النفس البشرية» فأقول له «بل التقدم يا مولانا ولو بالجهد والقلق».

الفتى : ولو بالاعتداء والنهب!

الفتاة : لنعد إلى مشروع المصنع.

المهندس : ثبت الآن أن للبيت وريثا، وعليه فلابد من انتظار الإجراءات الخاصة بإثبات الوراثة.

الفتاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف الصحراء، ولا تنس أثاثه القديم النادر!

المهندس : لا حاجة بى إلى الأثاث.

الفتاة : والكتب التى صنعت المعجزات؟!

المهندس : لدى ما أحتاج من كتب ومعجزات!

الفتاة : أظن آن لنا أن نتكلم عن الثمن.

المهندس : لن أبخسكم حقكم، وسنتكلم عن ذلك فى حينه.

(المهندس يستأذن فى الانصراف. وقبل أن يذهب يلتفت إلى الفتى ويسأله)

: وأنت.. ما مهنتك؟

الفتى : صاحب خمارة.

المهندس : (ضاحكا) لست مقطوع الصلة بأبيك ، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا .

(المهندس وسكرتيره يذهبان)

(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الضابط : آن لنا أن نبدأ التحقيق

ستار

النجـــــــاة

(حجـرة جلوس. فى الوسط مـدفأة حائـط مشتـعلة. إلى اليـمين من المدفأة بـاب حجـرة النوم وإلى اليـسار منهـا باب حجـرة المكتب. فى نهاية الجانب الأيمن لحـجرة الجلوس باب هو باب الشقة. إلى اليسار يوجد بار وتليفزيون. رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة، يرتدى روبا. ويطالع فى كتاب)

(جرس الباب الخارجي يرن بغتة رنينا متواصلا)

(يقوم الرجل إلى الباب، يفتـحه، تندفع إلى الداخل امرأة جميلة مـرتدية معطفا وبيدها حـقيبة. تندفع وكـأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث. الرجـل ينظر إليهـا بدهشـة ودون أن يغلق الباب. واضح من نظراته أنه لا يعرفها ولـم يكن ينتظرها)

الـــــرجــــل : (بتردد وارتباك) ولا مؤاخذة . . حضرتك؟

المـــــــــرأة : (بلهفة) أغلق الباب ، من فضلك أغلق الباب .

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الـــــرجــــل : وحـــدك؟

المـــــــــرأة : نعـــم .

(يقفان وهما يتبادلان النظرات)

المـــــــــرأة : إنى مرهقة ، تسمح لى بالجلوس؟

الـــــرجــــل : تفضـــلى .

(يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة. تسند المرأة رأسها إلى يدها فى إعياء. يعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس. الرجل يتفحصها بدهشة، ويبدو ـ رغم غرابة الموقف ـ أن محاسنها أثرت فيه بعض الشيء)

الرجل : أنا وحدى ، ذهبت الخادمة عقب إعداد العشاء . ولكنى سأجيئك بكوب ماء .

(يقوم إلى البار فيملأ كوبا من دورق ثم يقدمه إليها. المرأة تشرب نصفه ثم تضعه على خوان بين المقعدين)

المرأة : آسفة جدا لإزعاجك .

الرجل : أنا فى خدمتك .

المرأة : شكرًا .

الرجل : يلزمنى شيء؟

المرأة : أكرر الأسف ، الواقع أننى لا أدرى ماذا أقول .

(صمت)

: سلوكى يتطلب تفسيرا ولكنى لا أدرى ماذا أقول .

الرجل : استردى أنفاسك أولا .

المرأة : ماذا أقول؟ مهما يكن فإنى أتوسل إليك أن تكرمنى .

الرجل : وهل فى ذلك شك؟

المرأة : أعنى أن تعاملنى معاملة تليق بامرأة فى أشد حاجة إلى . .

الرجل : إلى؟

المرأة : الحماية!

الرجل : ماذا يهددك؟

(صمت)

: (مستدركا) لكنى لم أتشرف بعد؟

المـــــــرأة : لا يهم هذا على الإطلاق .

الـــرجـــل : ولكنه ضرورى فيما أعتقد .

المـــــــرأة : كلا ، لن يقدم ولن يؤخر !

الـــرجـــل : لن أضـايقك ، ولكـن ثمـة سـؤال آخـر ، هل قـصـدتنى بالذات؟ . . هل تعرفيننى؟

المـــــــرأة : بابك أول باب فتح لى ، هذا كل ما هنالك .

الـــرجـــل : هل طرقت أكثر من باب؟

المـــــــرأة : نعـــم .

الـــرجـــل : ماذا يهددك؟

المـــــــرأة : أكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى !

الـــرجـــل : (بقلق) هل يتوقع مجىء من يتعقبك؟

المـــــــرأة : نعـــم .

الـــرجـــل : رجل أم امرأة؟

المـــــــرأة : رجـــل !

الـــرجـــل : (بعد تردد) زوجك؟

المـــــــرأة : كـــلا .

الـــرجـــل : صديق؟ . . قريب؟

المـــــــرأة : ألا تتكرم بحمايتى دون تحقيق؟

الـــرجـــل : ولكـــن . . .

المـــــــرأة : (مقاطعة) لعلك تعمل حساب أهل بيتك؟

الـــرجـــل : لا يوجد فى البيت سواى .

المـــــــرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك؟

الـــرجـــل : لست متزوجا .

المـــــــرأة : تنتظر ولا شك أحدا ممن يقيم معك؟
الـــرجـــل : إنى أقيم هنا بمفردى .
المـــــــرأة : عظيم، ستكون المهمة سهلة لو تكرمت بالموافقة .
الـــرجـــل : ولكن يلزمنى بصيص نور .
المـــــــرأة : لن يمسك سوء!
الـــرجـــل : ولكنى أود أن أعرف المسئولية التى سأتحملها!
المـــــــرأة : لن تمضى ساعات حتى أغادر مسكنك إلى الأبد كأنى شىء لم يكن .
الـــرجـــل : (مداريا ارتباكه بابتسامة) ستظلين شيئا لا يمكن نسيانه .
المـــــــرأة : غزل أم تحقيق؟
الـــرجـــل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .

(صمت)

: إذا شرفتنى وقتا ثم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج، ولكن إذا جاء أحدهم يتعقبك فيلزمنى بصيص نور قبل أن أنكر وجودك .
المـــــــرأة : لن تقع عليك مسئولية ما .
الـــرجـــل : بل قد أجر إلى متاعب لا تخطر ببال!
المـــــــرأة : لا تهول .
الـــرجـــل : لا تتركينى فى ظلام .

(صمت)

: أرجوك، لا تضطرينى إلى . .
المـــــــرأة : إلى تسليمى لأول طارق!
الـــرجـــل : أرجوك أن تفهمى موقفى جيدا .
المـــــــرأة : إنى أتعلق بأمل وحيد، ببقية من الشهامة البطولية القديمة .

الـــرجـــل : من المؤسف أن عهد الفروسية والملاحم قد ولى .

المـــــرأة : فى حالة اليأس يفزع القلب إلى زمن الأساطير !

الـــرجـــل : أنا يا سيدتى رجل لا أسطورة .

(صمت)

: فكرى من فضلك وأجيبى .

المـــــرأة : لكنى عاجزة تماما .

الـــرجـــل : قبل أن تفوت الفرصة .

المـــــرأة : كن كريما إلى النهاية .

الـــرجـــل : (غاضبا) إنى أشم رائحة مقلقة للأعصاب .

المـــــرأة : أى رائحة؟

الـــرجـــل : جريمة ما !

المـــــرأة : لا تدفعنى إلى الانتحار !

الـــرجـــل : ماذا فعلت؟

(جرس البـاب يرن. المرأة تقف فزعـة. تهرع إلى باب حـجرة النوم. تدخل ثم تغلق البـاب من الداخل. الرجل يحـاول فتح الباب فلا يستطيع. الجرس يرن مرة أخرى)

: افتحـــى .

المـــــرأة : كـن كريمـا .

الـــرجـــل : لا تجرينى إلى مأزق .

المـــــرأة : كن رحيمـا .

الـــرجـــل : سأتصرف كما ينبغى لى .

المـــــرأة : إذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة .

الـــرجـــل : أنت مجنونة !

المـــــرأة : أنا عاقلة جدا .

الرجل : إنك تجازينى خير جزاء .
المرأة : إنى آسفة ولكننى مضطرة!
الرجل : انتظرى . . لا تتعجلى .
(يذهب إلى الباب لاعنا متسخطا. يفتح الباب. يدخل رجل ضاحكا ثم يرد الباب)
الصديق : كنت نائما؟
الرجل : أنت عليك اللعنة!
الصديق : يا له من استقبال .
(يتجهان نحو المدفأة)
: ماذا حدث فى العمارة؟
الرجل : لا شىء!
الصديق : وأنا قادم إلى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر العمارة . لم أستطع المرور إلا بعد س و ج .
الرجل : حقا! . . ماذا حدث؟
الصديق : لم أفهم شيئا ، لم يرد على أسئلتى أحد ، ولكن ثمة حادث أو جريمة ، والأمر المؤكد أنهم يبحثون عن امرأة هاربة .
الرجل : أين؟
الصديق : فى مكان ما بالعمارة، العمارة محتلة بالقوات ، ألم تشعر بشىء؟
الرجل : أبدا .
(يجلسان. الصديق يجلس فى مكان المرأة. يتشمم الجو بدهشة) .
الصديق : رائحة امرأة!

الـــرجـــل : ترى أى جريمة وأى امرأة؟

الصـــديـق : لا تشغل بالك، ستعرف كل شىء صباح الغد، ولكنى أقول إنه توجد رائحة امرأة.

الـــرجـــل : رائحـة امـرأة؟

الصـــديـق : رائحة ذكية، هل عندك حبوبة؟

الـــرجـــل : كـــلا.

الصـــديـق : وهذه الرائحة؟

الـــرجـــل : كان ثمة صديقة تزورنى.

الصـــديـق : مبارك عليك، ولكن مالك؟

الـــرجـــل : على خير ما يرام.

الصـــديـق : كلا، لست كعادتك.

الـــرجـــل : لعله البرد.

الصـــديـق : (مـشيـرا إلى المدفـأة) إنك تنعـم بفـردوس فى هذا الشتـاء القاسى.

(صمت)

: أهى ممن أعرفهن؟

الـــرجـــل : مـن تعـنى؟

الصـــديـق : المرأة التى كانت هنا.

الـــرجـــل : كـــلا.

الصـــديـق : ولمَ انصرفت مبكرة؟

الـــرجـــل : يكَفى تحقيق واحد فى العمارة.

الصـــديـق : ذكرتنى، ترى ماذا حدث؟

الـــرجـــل : أجل ماذا حدث؟

الصـــديـق : إنك تعرف عن فيتنام أكثر مما تعرف عن شقة مجاورة فى عمارة حديثة.

الـــرجـــل : أى جريمة؟ . . وأين اختفت المرأة؟

الصـــديـق : لا تشغل بالك، الجرائم وجبات يومية.

الـــرجـــل : والمـــرأة؟

الصـــديـق : قاتلة. . شريكة فى جريمة قتل . . سر جريمة ما.

الـــرجـــل : وأين يمكن أن تختفى؟

الصـــديـق : لعلهم عثروا عليها، إلا إذا كانت أصلا من سكان العمارة.

الـــرجـــل : فكـــرة.

الصـــديـق : أو تكون لجأت إلى شقة ما.

الـــرجـــل : لا أحد فى اعتقادى إلا إذا كان له ضلع فى الحكاية.

(الرجل يقوم، يبتعد إلى جناح الحجرة البعيدة عن حجرة النوم. يشير إلى صاحبه أن يتبعه فيلحق به)

الـــرجـــل: (هامسا) أنا واقع فى مشكلة.

الصـــديـق : أى مشكلة؟

(جرس الباب يرن)

: هل تنتظر أحدا؟

(الرجل يمضى إلى الباب بعد تردد. يفتح)

صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول؟

الـــرجـــل : تفضـــل.

(يدخل ضابط. يقدم نفسه)

الضـــابـط : نحن نبحث عن امرأة هاربة فى العمارة.

(الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل)

الـــرجـــل : أية امـــرأة؟

الضـــابـط : امرأة هاربة، ويهم الأمن العام القبض عليها.

الرجل : لم يلجأ إلى شقتى أحد .

الضابط : حضرتك رب الأسرة؟

الرجل : إنى أقيم بمفردى هنا ، (ثم مشيرا إلى صديقه) هذا صديق زائر .

الضابط : تسمح بالبطاقة الشخصية .

(الرجل يذهب إلى حجرة المكتب ثم يعود بالبطاقة. الضابط يقرأها بعناية. ثم يقدم له ورقة مكتوبة ويقول)

: هذا إقرار بأن المرأة لم تلجأ إلى شقتك هذا المساء ، وقعه بإمضائك ، وأود أن أذكرك بخطورة الأمر إذا ثبت ما يخالفه .

(الرجل يوقع الإقرار. الضابط يتناوله. وينصرف. الرجل يغلق الباب. يعود إلى صديقه حيث كان يقف فى وسط الحجرة)

الصديق : الظاهر أن الجريمة أخطر مما نتصور .

الرجل : ليست إلا إجراءات روتينية .

الصديق : لا تشغل بالك ، كنت تتحدث عن مشكلة .

الرجل : مشكلة؟!

الصديق : الضابط شتت عقلك .

الرجل : ربما .

الصديق : لنعد إلى مشكلتك .

(صمت)

: ألا تريد أن تحدثنى عن مشكلتك؟

الرجل : جد ما هو أهم .

الصديق : لا تشغل بالك بهموم لا تخصك .

الـــرجـــل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة أمرا بالتفتيش العام إذا لم تعثر على المرأة؟

الصــــديـق : جــــائــز .

الـــرجـــل : وقد يفتشون شقتى !

الصــــديـق : إنه احتمال ضعيف على أى حال .

الـــرجـــل : ولكنه جـائـز .

الصــــديـق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المحرجة .

الـــرجـــل : كيــف؟

الصــــديـق : النافــذة .

الـــرجـــل : العمارة محاصرة .

الصــــديـق : النـــار .

الـــرجـــل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق .

الصــــديـق : أنت مجنون ، طالما حذرتك ، ولكن احتمال التفتيش احتمال ضعيف ، إنها امرأة وليست إبرة وسيعثرون عليها عاجلا .

الـــرجـــل : تستطيع أن تقدم لى خدمة .

الصــــديـق : اسمع ، أنت تعلم أنه لا شأن لى بهـذه الأمـور الخطرة ، دع صداقتنا فى المنطقة البريئة .

الـــرجـــل : نحن فى زمن الخوف من الشرطة ، أما شهامة الأساطير فقد ولى زمانها !

الصــــديـق : الخوف من شىء حقيقى ، أما الأساطير !

(صمت)

: أود أن أطمئن عليك .

الـــرجـــل : دون أن تقدم خدمة ما .

الصـــديق : كلانا يعرف الحدود التى يتحرك فيها الآخر .
الـــرجـــل : إنى فى حاجة إلى الانفراد بنفسى وكل ما أطلبه منك أن توافينى بأية معلومات جديدة بالتليفون .
الصـــديق : بمجرد عودتى إلى مسكنى .
(يتصافحان. يوصله حتى الباب الخارجى. يغلق الباب ثم يعود مسرعا إلى باب حجرة النوم) .
الـــرجـــل : سيدتى . . تعالى . . لا أحد بالشقة سواى .
(تفتح الباب. تخرج. يقفان وجها لوجه)
: إنك تلقين بيأسك فوق رأسى .
المـــــرأة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .
الـــرجـــل : سيعودون للتفتيش .
المـــــرأة : لا تهتم بى فإنى أعرف كيف أتصرف .
الـــرجـــل : إنى لا أهتم إلا بنفسى فى الواقع .
المـــــرأة : هذا حقك وإنى آسفة لحد الموت .
الـــرجـــل : إنك تخلفين لى مشاكل ومضاعفات .
المـــــرأة : لم تعد بيدى حيلة .
الـــرجـــل : لِمَ تبحث الشرطة عنك؟
(صمت)
: لِمَ تبحث الشرطة عنك؟
المـــــرأة : إَنهم يبحثون عن كثيرين . . . !
الـــرجـــل : شـــركائك؟!
المـــــرأة : وغيـــرهم .
الـــرجـــل : (محتدا) ماذا تعنين؟
المـــــرأة : (باسمة) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .

(صمت وهو ينظر إليها غاضبا)

الـــــرجــــــل : تهددينني؟!

المــــــــــرأة : ربما كنا فى الهوى سوا .

الـــــرجــــــل : افتـــراء .

المــــــــــرأة : آســـفة .

الـــــرجــــــل : أنا رجل محترم .

المــــــــــرأة : وأنا امرأة محترمة .

الـــــرجــــــل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا .

المــــــــــرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم .

الـــــرجــــــل : هل نمضى الوقت فى جدل وسمر؟

المــــــــــرأة : إنى آسفة وحزينة .

الـــــرجــــــل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة .

المــــــــــرأة : لم لَم تفعل؟

الـــــرجــــــل : أعترف بأننى لم أحسن التصرف .

المــــــــــرأة : بل أحسنت التصرف وإلا لأثرت الشبهة فى وجود علاقة بينك وبين المرأة المنتحرة .

الـــــرجــــــل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال .

المــــــــــرأة : ربما، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه، ترى ماذا تحوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة؟

الـــــرجــــــل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام .

المــــــــــرأة : أو غاية من اليأس .

الـــــرجــــــل : ماذا ارتكبت؟

المــــــــــرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ، ولكن الشرطة تصفه بأنه جريمة، وأنت؟

الـــرجـــل : لا أسـمح بالتـحـقـيق مـعى، ولكن خـبـرينى أى جـريمة ارتكبت؟

المـــــرأة : ما أهمية ذلك؟ . . أى تحسن يمكن أن يضيفه إلى موقفنا؟

الـــرجـــل : هل عرفوا شخصك؟

المـــــرأة : محتمـل جـدا .

الـــرجـــل : ليس مؤكـــدا؟

المـــــرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شىء مؤكد .

الـــرجـــل : جربى أن تغادرى شقتى بوصفك امرأة أخرى .

المـــــرأة : لن يدعـونى أمر دون تحقـيق، وغـالبـا يوجـد مـخـبر فى الطرقـة الخـارجـيـة، وسـيـجـرونك للتـحـقـيق، وسـوف تنكشف الحقيقة .

الـــرجـــل : أيـة حقيقـــة؟

المـــــرأة : حقيقتى وحقيقتك .

الـــرجـــل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة .

المـــــرأة : معـــذرة .

الـــرجـــل : أنت تؤجلين الخطر ليس إلا .

المـــــرأة : لا حيلة لى .

الـــرجـــل : لو كنت مكانك!

المـــــرأة : لو كنت مكانى؟

الـــرجـــل : لسلمت نفسى إلى الشرطة .

المـــــرأة : هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك . . .

الـــرجـــل : ولمشكلتك أيضا ما داموا سيجيئون فى النهاية حتما .

المـــــرأة : ليس حتمـــا!

الـــرجـــل : (غاضبا) ولكنك تراهنين بحياتى!

المـرأة : أمر مؤسف حقا ولكننى أفضل الانتحار على التسليم .

الـرجـل : افعلى بنفسك ما تشائين ولكن بعيدا عنى . .

المـرأة : ليتـه ممكـن!

الـرجـل : أى قدر قذفنى بك .

المـرأة : هو الذى رمانى إليك .

(تضحك ضحكة عصبية)

الـرجـل : تمزحين كما لو كنت فى حفل استقبال .

المـرأة : إذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .

الـرجـل : ولكن الأمل لم ينقطع بعد .

المـرأة : حقـا؟

الـرجـل : أستطيع أن أطردك .

المـرأة : سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع فى يدى .

الـرجـل : تهـددييننى؟

المـرأة : موقف مؤسف مخجل ولكننى لم أخلقه بإرادتى .

الـرجـل : أنت مجرمة بالسليقة .

المـرأة : (باسمة) لعلنا من سليقة واحدة .

الـرجـل : (ثائرا) لتنشق الأرض وتبلعك .

المـرأة : أول مرة يعاملنى رجل بهذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقدا أعصـابه ليشدها ناحية الباب. هى تقاوم بيأس. يقوم بينهما شد وجذب.

يختل توازنه فيقعان على ديوان ويستمر الصراع بينهما. وبالاستمرار لا تكاد تختلف حركاتهما عن مبادلات العشق. ويتغير مذاق الصراع وحدته. ويخلق جو جديد لم يكن فى الحسبان فتستغله الأعصاب المتوترة اليائسة. وإذا به يضمها بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا.

ينخفض الضوء رويدا حتى يسود الظلام.
ثم يعود رويدا رويدا حتى يبلغ حاله الأولى.
الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر.
هى تنظر إلى السقف وهو يرنو إلى نيران المدفأة)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن؟

(صمت)

: ترى ماذا يحدث فى الخارج؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل.

الرجل : ماذا تعنين؟!

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام.

الرجل : وبلا حب؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى الأذرع.

(صمت)

الرجل : والعمل؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى؟

(صمت)

الرجل : وما جريمتك؟

المرأة : وما جريمتك؟

الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك.

المرأة : من واجبى ألا أتكلم.

الرجل : لست على أى حال من الشرطة.

المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين.

الرجل : تزييف نقود؟ . . مخدرات؟ . . دعارة؟ . . سياسة؟

المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية.

(صمت)

الــرجــل : متزوجــة؟

المــــرأة : لا أجيب عن هذا السؤال بعد ما كان .

الــرجــل : هل كانت أول مرة تخونينه؟

المــــرأة : ألا ترى أننى أفضل الموت على الخيانة؟

الــرجــل : إذن سلمت حبا وكرامة؟

المــــرأة : حالة هستيرية لَيس إلا .

الــرجــل : نـادمـة؟

المــــرأة : لا وقت للندم .

الــرجــل : هبينى دعوتك مرة أخرى؟

المــــرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .

الــرجــل : هل نفترق كغريبين؟

المــــرأة : كما التقينـا!

الــرجــل : لا شىء يجمعنا؟

المــــرأة : الجريمة هى ما يجمعنا .

(صمت)

: هل أنت أعزب؟

الــرجــل : نعـم .

المــــرأة : لم لَم تتزوج؟

الــرجــل : لَم أطعن فى السن بعد .

المــــرأة : ومتى تطعن فى السن؟

الــرجــل : لعلى أنتظر أن تجرفنى امرأة إلى الزواج ، ولكن ألا ترين أننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة؟

المــــرأة : هو خير من الصمت .

الــرجــل : الأغلال تقترب من أعناقنا .

المـــــرأة : لا تذكرنى بذنبى حيالك .

الــرجــل : ثمة فرصة لتجربة الحظ .

المـــــرأة : وهـــى؟

الــرجــل : أن تخاطرى بالذهاب .

المـــــرأة : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى لفعلت .

الــرجــل : تدوسيننى فى طريقك بلا رحمة .

المـــــرأة : كما داسنى آخرون .

الــرجــل : مالى أنا وذلك كله!

(يتملكه غضب مباغت. ينهض قائما بعنف. يقبض على ساعدها ليشدها ولكنها تخلص ساعدها بهدوء)

المـــــرأة : كلا . . لا يتكرر شىء واحد مرتين بطريقة واحدة .

الــرجــل : أنت . . أنت . .

(جرس التليفون يرن. ينتقل إليه حيث يوجد على حامل قرب البار)

الــرجــل : آلـــو .

: . . . .

الــرجــل : تأخرت . . أين كنت؟

: . . . .

الــرجــل : ماذا تقول؟

: . . . .

الــرجــل : غير معقول، ألم تعرف السبب؟

: . . . .

الــرجــل : شىء عجيب حقا .

: . . . .

الـــــرجــــــل : بخير كما تركتنى .

: . . . .

الـــــرجــــــل : لست وحدى . . أقصد أننى منفرد بهمومى!

: . . . .

الـــــرجــــــل : أبدا أبدا . . وحدى كما تركتنى .

: . . . .

الـــــرجــــــل : أنت مجنون . . أى أفكار جنونية تساورك؟

: . . . .

الـــــرجــــــل : لا موجب لإساءة الظن ، إلى اللقاء . .

(يضع السماعة ثم يعود إلى مقعده. يتبادل مع المرأة نظرات حائرة)

الـــــرجــــــل : إنه الصديق الذى كان هنا .

المـــــــــرأة : وماذا قال لك؟

الـــــرجــــــل : ماذا حصل للدنيا؟ . . الشوارع المحيطة بنا غاصة بالجنود! . . من أنت؟!

المـــــــــرأة : لست إلا امرأة سيئة الحظ كما ترى .

الـــــرجــــــل : بيدك حل هذا اللغز .

المـــــــــرأة : يستوى لدينا أن يضرب الحصار حول العمارة أو حول الحى كله .

الـــــرجــــــل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة إلا شىء خطير .

المـــــــــرأة : لست هذا الشىء .

الـــــرجــــــل : لعلك الخيط الذى يوصل إليه .

المـــــــــرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .

الـــــرجــــــل : لن أسمح لك بالقضاء علىّ .

المـــــــــرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .

الـــرجـــــل : لن أضيع بسبب غلطة .

المـــــــــرأة : لماذا تعود إلى الغضب ولم يجد جديد على الموقف؟

الـــرجـــــل : الهلاك بات أقرب مما نتصور .

المـــــــــرأة : نحن مقامرون، والمقامر العاقل يجب أن يوطن نفسه على الهلاك .

الـــرجـــــل : أنت امرأة مقامرة .

المـــــــــرأة : وأنت أيضا، لا سبيل إلى النكران .

الـــرجـــــل : لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .

المـــــــــرأة : جميع طرق الضياع سخيفة .

الـــرجـــــل : أود أن أقتلك ولو اضطررت إلى قتل نفسى .

المـــــــــرأة : هاك طريقة سخيفة أخرى .

الـــرجـــــل : كل هـذا وأنا لا أعـرف من أنت ولا أدرك شـيئا ممـا يقع حولى .

المـــــــــرأة : لا أهمية للتفاصيل، حسبك أن تعرف أننا مطاردون، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون!

(صمت)

: (وهى تبتسم متوددة) لا تضخم سوء الحظ بالغضب .

(صمت)

: عندى اقتراح .

(ينظر نحوها بامتعاض ودون أن ينبس)

: نحن فى حاجة إلى ترفيه .

الـــرجـــــل : ترفيـــه؟!

المـــــــرأة : لم لا؟ . . إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام عن رغبته الأخيرة .

الـــرجـــل : أنت مجنـونة .

المـــــــرأة : لنشرب كأسين .

الـــرجـــل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا؟

المـــــــرأة : أنا أعتبر نفسى منتهية، وأعترف لك بكل أمانة أن جانبا منى راض كل الرضا، ويخيل إلىّ أنك تماثلنى إلى حد كبير، وأمامنا وقت غير محدود، فإما أن نقضيه فى تبادل السباب وإما أن نرفه عن أنفسنا، ما رأيك؟

الـــرجـــل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهى تتوقع الموت بين لحظة وأخرى؟

المـــــــرأة : هى حال الإنسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو أننا أعظم وعيا بالنهاية .

(صمت)

: فلنجـــرب . .

(المرأة تقوم إلى البار فتجىء بزجاجة وكأسين. تملأ الكأسين. ترفع إحداهما إلى فم الرجل وتمسك بالأخرى)

: صحة لقائنا دون تعارف سابق .

(تشرب وتدفع بالشراب إلى فيه فيتقبله بفتور، ثم تملأ الكأسين مرة ثانية)

: صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق!

(تشرب. تنظر إليه بتوسل حتى يشرب كأسه أيضا. ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة)

: صحة أسباب الهلاك التى لا حصر لها .

(تشرب. يشرب. تملأ الكأسين للمرة الرابعة)

: صحة الأحلام التى تقود إلى الهلاك .

(تشـرب. يشرب. تنبسط أساريرهمـا بتأثيـر الخمـر. يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة)

: صحة الجنس الذى يمارس وسط العنف والشجار .

(تشـرب. يشـرب. يتـأكـد أثر الخـمـر. يملأ الـكأسين للمـرة السـادسة)

الـــرجـــل : صحة الشرطة عدوة الأحلام .

(تشـرب. يشـرب. يتـأكـد أثر الخـمـر. يملأ الـكأسين للمـرة السـابعة)

المـــــــرأة : صحة أول من اخترع حروف الهجاء .

(تشرب. يشرب. يتضح أثر السكر فى الحركة والصوت. يملأ الكأسين للمرة الثامنة)

الـــرجـــل : صحة أول رجل اخترع آلة للزينة .

(تشرب. يشرب. يملأ الكأسين للمرة التاسعة)

المـــــــرأة : صحة أول من كتب رسالة غرامية .

(تشرب. يشرب. يملأ الكأسين للمرة العاشرة)

الـــرجـــل : صحة الحلقة المفقودة .

المـــــــرأة : صحة المخبر الواقف بالطرقة خارج الشقة .

الـــرجـــل : صحتـــك .

المـــــــرأة : صحتـــك .

(يغرقان فى الضحك. يقفان وهما يترنحان)

الـــرجـــل : لننس العمر الذى عشناه فينتهى كل شىء .

المـــــــرأة : انتهى كل شىء .

الـــرجـــل : ولكنى لن أنسى أول أمنية داعبت فؤادى وأنا طفل .

المـــــرأة : مـا هـى؟

الـــرجـــل : أن أكون بياع كسكسى!

(يغرقان فى الضحك)

المـــــرأة : لنستمتع بشىء من الفن . . .

الـــرجـــل : فكـــرة .

(يذهب إلى التليفزيون.. يديره. يظهر موقف من فيلم رعاة بقر يشتد فيه تبادل إطلاق النار. المرأة تصرخ متراجعة محتجة فيطفئ الرجل التليفزيون)

الـــرجـــل : هـلمى نرقـص .

(يرقصان بلا موسيقى. يتعمد ضمها إلى صدره. يقبلها من آن لآن. يتوقف عن الرقص ويرفعها بين يديه ليمضى بها ولكن توازنه يختل فيسقطان وهما يضحكان. ينطرحان جنبا لجنب وهما يضحكان. وهو يقبلها كلما سكت عن الضحك. لا مقاومة من ناحيتها ولكنها تزحف قليلا وتمد يدها فتتناول سماعة التليفون. تطلب رقما، وفى أثناء الحديث يتابعها الرجل بانتباه قليل لشدة سكره ولا يكف عن تقبيلها)

المـــــرأة : آلـــو .

: . . . .

المـــــرأة : مساء الخير ، أنت قلق طبعا ، آسفة . . .

: . . . .

المـــــرأة : شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

: . . . .

المـــــرأة : لا وقت للإجابة ، ليس الظرف مناسبا ، ستعرف كل شىء من الصحف .

المـــــــرأة : لا تنتظرنى . . ولكن ثق من إخـلاصى . . حـتى آخـر لحظة . . أستودعك الله .

(تغـلق السـكة)

الـــرجــــل : تخوننينى جهارا؟

المـــــــرأة : الماضى يستحق أن نودعه .

الـــرجــــل : عفـــريتة . .

المـــــــرأة : سأكون لك إلى الأبد!

الـــرجــــل : حـتى المـوت .

المـــــــرأة : حـتى المـوت .

الـــرجــــل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة؟

المـــــــرأة : ولو امتد ساعة وربعا!

(جـرس البـاب يـرن. ينظران نحـو البـاب بانزعـاج رغم سكرهما. ينهـضان بصعوبة وتعـثر. تمضى نحو المقعـد حيث تركت حقيبتها)

المـــــــرأة : سيجدوننى جثة هامدة منتصرة .

الـــرجــــل : لن أفتح الباب .

المـــــــرأة : سـيـكسـرونه .

الـــرجــــل : فلنتفق على الاعتراف بأننا زوجان .

المـــــــرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .

الـــرجــــل : نعترف بأننا تزوجنا عقب ذهابه!

المـــــــرأة : هذه فترة كـافيـة لموتنـا ، أما الـزواج فيسـتغرق عـاما على الأقل .

(الجرس يرن متقطعا ولكن فى إصرار)

(الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره.
المرأة تتناول من الحقيبة أنبوبة. تستخرج منها حبة. تزدردها
ببقية كأسها. تترنح ثم تسقط فوق الديوان منكفئة على
وجهها، جثة هامدة. الرجل لم ينتبه إلى ما حدث. يتردد بين
الوقوف وبين الذهاب إلى الباب. ينظر وراءه فيرى المرأة
منكفئة على وجهها)

الرجل : غلبك السكر؟ . . نمت؟

(يتأملها دون مبالاة بجرس الباب)

: يالك من شابة جميلة حقا!

(الجرس يرن)

: أضعنا فى الخصام وقتا لا يعوض . .

(الجرس يرن)

: استريحى . . تخاصمنا كغرباء على حين تجمعنا طبيعة
واحدة .

(يقترب منها، يميل فوقها كأنما ليقبلها وإذا بصوت صديقه
ينادى من وراء الباب صائحا «افتح» يمضى مسرعا نحو الباب
فيفتحه ضاحكا. الصديق يدخل ويغلق الباب وراءه)

الرجل : سيبت ركبنا ، عليك اللعنة .

الصديق : من المرأة التى عندك؟

الرجل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار . . يا لك من أحمق ما
فكرت فى خيانتك قط!

(الصديق ينظر إلى المرأة ويضحك عاليا)

الصديق : بعض الظن إثم .

الرجل : أنت أحمق .

الصـــــديـق : متى جاءت هذه المحبوبة؟
الـــرجـــل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .
الصـــــديـق : ولمَ أخفيتها عنى؟
الـــرجـــل : إنهَا المرأة التى تبحث عنها الشرطة .
الصـــــديـق : كم كأسا شربت؟
الـــرجـــل : لم أفكر فى حصرها .
الصـــــديـق : وهل المحبوبة نائمة؟
الـــرجـــل : من السكر والتعب . . ولكن ما حال الحصار؟
الصـــــديـق : القيامة قائمة .
الـــرجـــل : وحبيبتى نائمة .
الصـــــديـق : إنها جميلة . . من هى؟
الـــرجـــل : المرأة التى قامت القيامة من أجلها .
الصـــــديـق : أنت سكران .
الـــرجـــل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصـــــديـق : لـو صــح هــذا .
الـــرجـــل : تعاهدنا على الحب إلى الأبد .
الصـــــديـق : كنت تعرفها؟
الـــرجـــل : عرفتها منذ ساعة هجرية !
الصـــــديـق : وما جريمتها؟
الـــرجـــل : جريمة قامت لها القيامة .
الصـــــديـق : قتل . . مؤامرة . . ؟
الـــرجـــل : سألتها فاعترفت لى بحبها . . .
الصـــــديـق : لعنة الله على البار الأمريكانى . . خبرنى من هى؟

الرجل : امرأة .

الصديق : اسمها ، أسرتها ، مهنتها؟ . . .

الرجل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها .

الصديق : ألا تعرف عنها أى شيء؟

الرجل : عرفنا أهم شيء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين!

الصديق : إنك مضجر ولا خير فيك .

الرجل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار .

الصديق : لا سبيل إلى التفاهم معك ، سأذهب ، أستودعك الله .

الرجل : مع ألف سلامة .

(يتحرك الصديق للذهاب. جرس الباب يرن رنينا متواصلا)

: أخيرا . . .

الصديق : (فى اضطراب) ماذا أنت فاعل؟

الرجل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه .

(أصوات من الخارج تصيح «افتح.. افتح».

الرجل يذهب إلى الباب. يفتحه. تندفع إلى الداخل قوة من الشرطة المسلحة على رأسها ضابط غير الضابط الأول)

الضابط : أين الحجرة المطلة على الطريق العمومى؟

(الرجل يشير إلى حجرة النوم. الضابط والقوة يهرعون إلى الحجرة ويختفون داخلها)

الصديق : ما معنى هذا؟

الرجل : علىّ اللعنة إن كنت أفهم حرفا مما يقع حولى .

الصديق : يستحسن أن توقظ المرأة ، أى نوم هذا؟

الرجل : رد فعل طبيعى للإنهاك والاضطراب والسكر ، دعها تنعم بآخر هدوء يتاح لها فى حياتها!

(فجأة تترامى من الحجرة أصوات طلقات نارية كثيرة، تستمر وتتزايد. الرجلان ينحطان على ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى غاية من الذعر)

الصديق : إنها معركة.

الرجل : إنها معركة بكل معنى الكلمة . . .

الصديق : هل العدو فى الطريق؟

الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا!

الصديق : لعله فى العمارة القائمة على الجانب الآخر.

الرجل : لا أفهم شيئا.

الصديق : يجب أن نغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص.

(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة. الضابط يظهر فى باب الحجرة. يرى المرأة لأول مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة؟

الرجل : كلا . . إنها . . إنها مريضة . .

الضابط : الشقة معرضة للخطر . . غادرها بلا تردد.

(الضابط يرجع إلى الحجرة. الضرب فى تصاعد مستمر. رصاصة تصيب المصباح الكهربائى فيسود الظلام. شبح الرجل يزحف نحو المرأة. يهزها ليوقظها)

الرجل : استيقظى . . يجب أن تستيقظى . . .

(يهزها بشىء من الشدة)

: سأحملك بين يدى وأمرى لله . .

(يحملها بين يديه ويمضى بها نحو الباب بتعثر ومشقة وبطء)

: لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش . . لقد نجوت يا

حبيبتى . . ونجوت أنا أيضا . . نجونا معا . سيمسى اليأس في خبر كان . . نجوت ونجوت . . وستكونين لى إلى الأبد .

(يغادر الشقة بحمله. الضرب مستمر)

مشروع للمناقشة

(حجرة الإدارة بمسرح. فى الجانب الأوسط من الحجرة يوجد مكتب. أمام المكتب مقعدان كبيران متقابلان. إلى اليسار مكتبة، وباب مغلق يؤدى إلى الخارج. فى الجانب الأيمن كنبة ومقعدان وخوان. على الكنبة يجلس الممثل والممثلة. على المقعدين يجلس المخرج والناقد.. الجميع فى أواسط العمر مع تفاوت).

المخرج : يجب أن نفتتح الموسم بعمل باهر .

الممثلة : (متنهدة) الحق أن الفن جمال وعذاب .

الممثل : (ناظرا فى ساعة يده) متى يحضر الأستاذ؟

الناقد : إنه فى الطريق إلينا .

المخرج : كثرت المسارح واشتدت المنافسة بينها لدرجة الوحشية .

الممثل : وعلينا يقع عبء المحافظة على القمة .

الممثلة : هذا ما قصدته بالعذاب .

الناقد : ترى هل انتهى الأستاذ من كتابة المسرحية؟

المخرج : لا أظن ، ولكنه سيحدثنا عن الفكرة العامة .

الممثلة : لن يبدأ الموسم قبل أشهر .

(يفتح الباب إلى اليسار ويدخل السكرتير)

السكرتير : الأستاذ .

(يدخل المؤلف. يخرج السكرتير ويغلق البـاب. المؤلف متقدم في السن ولكنه من الـنوع الذى يتعـذر تحـديد سنه. وهو أنيق المظهر وبادى الصـحة والعافـية رغم تقدمـه فى السن. ينهض المخرج والناقد والممثل لمصافحتـه. يذهب لمصافحة الممثلة في مجلسها. يمضى إلى المكتب فيقف مـستندا إلى مقدمته. ينتقل المخـرج والناقد إلى المـقعـدين المتـقابلين أمـام المكتب. يعـود الممثل إلى مجلسه إلى جانب الممثلة)

الـناقـــــد : (للمؤلف) صحتك عال .

المـــؤلـــف : شـكرا .

المخـــــرج : الجـو فظيع ولكـن ضـاحـيتك مـرتفـعة الموقـع ومعـتـدلة الجـو .

المـــؤلـــف : التفكير من شأنه أن يرفع الحرارة .

الـناقـــــد : إلى أى حد يمكن أن نقول إن عملك اكتمل؟

المـــؤلـــف : سينتهى على أى حال فى موعده .

الـناقـــــد : إذا أردنا أن نـحـدد روايتك الجـديدة فـأى اسم يمكن أن نطلقه عليها؟

المـــؤلـــف : إنك ناقد لا تخلو من داء النقاد فى غرامهم بالأسماء، أنا لا تهمنى الأسماء، إنما أبدأ من انفعال معين ثم أترك الاسترسال لوحى القلم .

الـناقـــــد : ولكن المسـرحـيـة بناء، ولا يسع البناء أن يضـرب فى الأساس ضربة واحدة ما لم تكن الصورة النهائية متبلورة بشكل ما!

المـمـــــثل : (فى شيء من العصبية) سنصل فى نقاش غير محدود، أريد أن أطمئن إلى وجود بطولة حقيقية .

الممثلة : وأضيف إلى قول زميلى أن خير دور تمثله المرأة هو الحب. (ثم موجهة الحديث إلى المخرج) تكلم فأنت المخرج . . .

المخرج : لكل رواية أسلوب خاص لإخراجها.

الممثلة : ولكن الحب ضرورة لا غنى عنها.

المخرج : إنه ضرورة حقا ولكن لا يمكن فرضه على المؤلف.

المؤلف : هذا كرم منك إذا تذكرنا محاولاتك السابقة للوثوب فوق رأسى.

المخرج : (ضاحكا) أنت تؤلف وأنا أفسر، فأنت حر فى تأليفك وأنا حر فى تفسيرى.

المؤلف : ولكنى أعرف ما أريد قوله.

المخرج : بل إنى أعتبر ذلك من اختصاصى.

الناقد : الأمر يتوقف على نوع العمل، ثمة عمل لا يختلف فى تفسيره أحد، وآخر تتعدد فى تفسيره وجهات النظر.

الممثل : ما يهمنى حقا هو دور البطولة، أريد أن أكون بطلا لا مهرجا.

المخرج : ولكن المهرج يمكن أن يكون بطلا أيضا.

الممثل : إنى أرفض ذلك كل الرفض.

المخرج : ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين.

الممثل : مهرجون لا أبطال.

المخرج : المسألة نسبية.

الممثلة : سنضل فى متاهة الآراء، حددوا أفكاركم.

الممثل : حسن، أريد بطولة بالمعنى التقليدى.

الممثلة : وأريد أن ألعب دور حب لا ينسى.

الناقــــــد : ويلزمنى الوضوح الذى يمكننى من نقد العمل وتقديمه .

المخـــــرج : أطالب بالحرية الكاملة للتفسير .

المــؤلــف : ماذا يبقى لى أنا؟

الممــــثل : أن تحقق لنا مطالبنا الفنية العادلة فى صيغة ناجحة تستحوذ على إعجاب الجمهور .

المــؤلــف : إنكم بحاجة إلى سكرتير لا إلى مؤلف .

الممــــثلة : بل نريد تفاهما وتعاونا .

(المؤلف يغادر موقفه متمشيا حتى منتصف الحجرة وهو مقطب ثم يعود إلى موقفه مستندا إلى مقدم المكتب)

المــؤلــف : إنى أحب الصراحة ، والحق أقول لكم إنه لا وجود لكم قبل أن توجد الفكرة التى تنجزونها .

الممــــثل : (فى حدة) بل نحن موجودون قبل أى فكرة .

المــؤلــف : إذا لم توجد القصة فأنتم مجرد أشخاص لا معنى فنى لهم .

الناقــــــد : ألا يؤثر فى خيالك وأنت تؤلف أشخاص الممثلين مثلا؟

المــؤلــف : كلا ، إنى أستغرق فى عملية الخلق فحسب ، ثم يختار العمل بعد ذلك ممثلوه ومخرجه!

الناقــــــد : هذا فرض مثالى ، ولكن الواقع أن المؤلف إنما يتعامل مع زمان ومكان وجمهور وممثلين وممثلات ومخرجين ونقاد أيضا!

المــؤلــف : (ضاحكا فى سخرية) يا لها من أفكار غريبة عن عملية الخلق!

الناقــــــد : لا يمكن أن تترك لخيالك العنان ما دمت مرتبطا بمسرح ما وجمهور ما وإمكانيات فنية محدودة .

المؤلف : أو فى كلمة واحدة هى فبركة بلا زيادة.

الناقد : إنها محاولة صادقة للتوفيق بين خيالك الخلاق والضرورات بفبركة لا محيص عنها لتقول فى النهاية ما تريد قوله وما يتطلبه الزمان والمكان وما يود الناس أن نقوله!

المؤلف : (بلهجة مزدرية) أصدق وصف للفن التجارى.

الناقد : الفن معاملة، والمعاملة نوع من التجارة، والنجاح وجه من وجوه المعاملة.

المؤلف : هذا يعنى أنكم المؤلف لا أنا.

الناقد : التأليف جماعى وإن بدا فرديا.

الممثل : لذلك أطالب ببطولة تقليدية وهو طلب عادل.

الممثلة : وأطالب بالحب وهو مطلب طبيعى.

المخرج : وأطالب بالحرية ليتم لعملك الكمال المنشود.

المؤلف : (غاضبا) تمرد سخيف مضحك، ولولاى لما كنتم شيئا مذكورا.

الناقد : (بلطف) ولولانا ما كنت مؤلفا على الإطلاق.

المؤلف : أستطيع أن أكتب مسرحية لنفسى!

الناقد : محض كلام، كيف يثبت أنها مسرحية إذا لم يقيض لها مخرج وممثلون وجمهور ونقاد؟!

المؤلف : (غاضبا) إن مهنتى الخلق لا الجدل، الجدل مهنة العاجزين عن الخلق.

الممثلة : إنى أكره الجدل وأخاف عواقبه، وسوف ينتهى بنا إلى خصام مرير بدلا من عرض مسرحى رائع.

الممثل : ولكن لا خير فى مصالحة تجىء على حسابنا.

المؤلف : من الضرورى أن أكتب مسرحيتى بلا قيد أو شرط .
الناقد : لا يجوز أن تهمل الاعتبارات التى عددتها .
المؤلف : إنى ملزم باحترام الخلق الفنى وحده .
الممثل : والبطولة؟
الممثلة : والحب؟
المخرج : بعض الهدوء ، إنه لم يحدثنا بعد عن قصته!

(صمت)

: أستاذنا العزيز ، حدثنا عن قصتك .
المؤلف : إنها مجرد مشروع وخطوط عامة .
المخرج : ليكن .
المؤلف : إنها قصة رجل وامرأة .
الممثل : ثمة مجال لبطولة .
الممثلة : ومكان أرجح للحب .
المؤلف : يلتقيان فى غابة .
الناقد : غابة؟
المؤلف : يلتقيان فى غابة .
الناقد : ولم غابة؟
المؤلف : (محتدا) أنا حر .
المخرج : أنا الحر .
الناقد : أخشى أن ترجع بنا إلى عهد الرومانسية البائد؟
الممثلة : هو مكان ظريف على أى حال ، والعرى فيه لا يمكن أن يتهم بالافتعال .
الناقد : اللقاء اليوم فى الشارع ، فى البص ، فى ملهى ليلى .
المخرج : ربما أراد من الغابة أن تهيىء له جوا موحشا حافلا بأخطار الإنسان والحيوان .

الناقــــــد : المدينة أحفل بكل ذلك من أى غابة .

المــؤلــف : (ضاربا الأرض بقدمه) يلتقيان فى غابة .

الممــثلة : بعض الحلم حتى يتم صورته .

المــؤلــف : فى الغابة أخطار لا حصر لها فهما يبحثان عن مأوى يحميهما .

الممــثل : ليس فى ذلك شىء من البطولة .

الممــثلة : ولكنه مجال طيب للحب .

الممــثل : لا حب بلا بطولة .

الممــثلة : الحب فى ذاته بطولة .

الممــثل : ليست هى ما أبحث عنه .

المخـــرج : إنه يريد أن يقاتل ، يقاتل الوحوش ، يقاتل المجهول .

الممــثل : أحســنت .

المخـــرج : ومن ثم يوجد الصراع وهو أساس الدراما .

الممــثل : أما مجرد البحث عن مأوى!

الممــثلة : لعله يكتب قصة حب؟

الممــثل : الحب لا يكفى وحده موضوعا لمسرحية .

المخـــرج : وأى مجال يترك لحريتى فى مسرحية بحث عن مأوى؟

المــؤلــف : أنا لا أعترف بحريتك المزعومة .

المخـــرج : أنا أفسر فأنا حر .

المــؤلــف : هل تستطيع بحريتك أن تغير النهاية؟

المخـــرج : صدقنى فإن حرية المخرج هى زينة العرض المسرحى .

المــؤلــف : هل تستطيع أن تغير النهاية؟

المخـــرج : لم تحدثنا عن النهاية .

المــؤلــف : يجدان مأوى على درجة من الأمان .

الممثلة : أراهن على أن الحب سيبدأ دوره الخالد .

المؤلف : يحصنانه ضد أهوال لا حصر لها ولا عد .

الممثلة : أكمل . . إني منتظرة .

المؤلف : يمضيان أوقات الراحة في عناق حار .

الممثلة : **(تقف من الانفعال وتنتقل إلى جنب المؤلف)** ألم أقل لكم؟

المؤلف : وفي لحظة من لحظات العناق الحار يسقطان جثتين هامدتين!

(صمت)

(يتبادلان النظرات. تمضي الممثلة إلى المكتبة على اليسار وتستند إليها مغمضة العينين)

الناقد : جثتين هامدتين؟!

المؤلف : نعم .

الناقد : وهي النهاية؟

المؤلف : ماذا تتوقع بعد ذلك؟

الناقد : ولكن ما أسباب الموت؟

المؤلف : أي سبب تفترضه ، لنقل إنه العناق نفسه!

الممثلة : **(متقدمة خطوات)** الحق أني لم أفهم شيئا .

المخرج : وماذا عن الأخطار المحدقة بهما؟

المؤلف : لم أتم دراستي لها بعد ، ولكن يمكن القول بأنهما قد ينجحان في تحصين مأواهما .

الناقد : ستكون نهاية متشائمة .

الممثل : وبلا بطولة تخفف من وقعها .

الممثلة : دور الحب غني ، ولكن النهاية . . . ؟

المخرج : من حسن الحظ أنه لم ينته من دراسته ، وأنه لابد أن تسبق النهاية سلسلة من صراعات شائقة . . .

المؤلف : (متهكما) ربما تكون حرا فى كيفية الوصول إلى النهاية التى أختارها ولكن لا حرية لك فى تغييرها .

المخرج : (فى شبه ثورة) يمكن أن أسدل الستار عند لحظة من لحظات النصر .

المؤلف : فى تلك الحال لن يزعم أحد بأن الرواية روايتى .

الممثل : (وهو يهب واقفا) أنا البطل ، أنا الجمهور ، وإنى أرفض الأدوار الهابطة !

المؤلف : قدر للسانك قبل النطق موضعه من اللباقة .

الممثل : إنى ممثل قديم ، لعبت أدوارا خالدة ، صارعت القدر ، صارعت الأبطال ، صارعت المجتمع ، اليوم يراد منى أن ألعب دور الهارب ، وأن أموت مستهلكا فى عناق حار ، خبرنى بالله أى نوع من الدراما تكون ، تراجيديا؟ ملهاة؟

الناقد : أجل . . النوع المسرحى غير واضح .

المؤلف : أنا أقدم مسرحيات لا أسماء .

الناقد : ولكنها تنكبت سبيل الجلال الحق .

المؤلف : الجلال الحق ، مازلتم تحنون إلى القدر والأبطال الخرافيين وأسطورة المجتمع ، ولكن القدر لم يعد إلا موضة بالية ، والبطولة الخرافية مراهقة ، وهل يتمخض المجتمع إلا عن لعبة يعبث بها أطفال شريرون لم تحسن تربيتهم؟ ! إنى أعرف عملى تماما .

الممثل : إنى أرفض مسرحيتك .

الممثلة : لكنها مازالت قصة حب .

الممثل : إنك مخطئة يا عزيزتى ، تصورى أن نلتقى فى غابة وأن نلوذ بمأوى ! لا مجال للمناجاة أو الحب الحقيقى ،

ستكون أعصابنا متوترة طوال الوقت. الحب لا ينمو فى هذا الجو، مجرد عناق عصبى، يروح عن نفسه بالشهوة، ثم نقع جثتين، ستكونين طيلة الوقت محدقة فى فزع، مرتعشة الأطراف، مضطربة الأمعاء، دميمة الوجه، مجرد لبؤة ثائرة ثم جثة هامدة.

الممثلة : كلا.. كلا..

الممثل : ولن يبقى لنا من الحوار إلا كلمات متشنجة، واستغاثات معربدة، وهذيان طويل عن الأخطار المحدقة بنا، ثم نقع جثتين هامدتين!

المؤلف : (محتدا) لست إلا ممثلا فلا تجاوز حدك.

الممثل : (فى غضب وعجرفة) أنا المسرح.. أنا الجمهور..

المؤلف : لست إلا ممثلا.

الممثل : (وغضبه فى تصاعد) وما أنت؟!.. كم من الجمهور رأوك؟.. وكم ممن يرونك يعرفون من أنت؟!

المؤلف : يا لها من وقاحة!

(الممثل يرمى المؤلف بنظرة متوعدة. الممثلة تقترب منه بسرعة فتضع يدها على ذراعه ملاطفة)

الممثلة : لا يليق بكما الخصام.

الناقد : ترى هل تحل بمسرحنا اللعنة؟!

المؤلف : ليلتزم كل بحدوده.

المخرج : الحلم والهدوء، لا تدفعونى إلى اليأس.

الممثلة : عليك بالتماسك وإلا فشلنا وأعرض عنا الجمهور.

الممثل : إن من يسلبنى مجدى إنما يسلبنى كرامتى وحياتى.

المؤلف : لكل زمان مجده الخاص به.

الممثل : العبث ببطولتى التى عشقها الجمهور محاولة لقتلى .

المؤلف : مجدك الحق أن تلعب دورك بمهارة أيا كان دورك .

الممثل : ولو كان الهرب والموت بين أحضان امرأة؟

المؤلف : ولو كان .

الممثل : سينصرف عنكم الجمهور ولن ينفع الندم .

المؤلف : الجمهور يود أن يرى نفسه .

الممثل : لا كما هى ولكن كما يجب أن تكون .

المؤلف : على أساس من واقعها الحقيقى .

الممثل : أهذه هى الكلمة الأخيرة فى البطولة؟

المؤلف : لا يمكن التنبؤ بالمسرحية التالية .

الممثل : إذا تجهمنى زمانى فعلى أن أعتزل .

المؤلف : (متهكما) ها أنت تفكر فى الهروب فى حياتك رغم ثورتك عليها فوق خشبة المسرح .

الممثل : إنى أرفض مسرحيتك .

الناقد : (للمؤلف) فكرتها طيبة ولكن أعد النظر فى النهاية .

المؤلف : (بكبرياء) كلام لا يليق أن يوجه إلى مؤلف .

الناقد : هل نسيت تاريخك القديم؟ . . هل نسيت روائعك؟

المؤلف : آخر مسرحية خير ما ألفت حتى اليوم .

الممثل : حتى هذه المسرحية الشاذة؟

المؤلف : ستكون خير ما ألفت حتى اليوم .

الممثل : (صائحا فى غضب وموجها كلامه للجميع) إنه يضمحل وهو لا يدرى .

المؤلف : (فى غضب) لست أهلا لمناقشتى .

(الممثل يرميه بنظرة غاضبة متوعدة مرة أخرى ولكن الممثلة تأخذه من ذراعه إلى مجلسها السابق فوق الكنبة)

(صمت)

: (محادثا نفسه) تعب وعذاب وها هى النهاية، من يدرى بمتاعب الخلق إلا من يعانيه؟ ثم لا يكفيه ذلك فتتمرد عليه مخلوقاته، وأى تمرد! تعيب خلقه، تعيبه بكل جهل وقحة، تذكره بعمله القديم كأنه عاجز عن تكرار نفسه، تتهمه بالكسل وهى الخامة العاجزة عن تفهم الجديد، وتبين مزاياه، هل يكمل الخلق إذا جاء على هوى المخلوق؟ وقد تدرجت معهم من البسيط إلى المعقد وها هم ينعتون البسيط بالجلال والمعقد بالتفاهة، عقول قاصرة فكيف يمكن أن يتموا الرحلة الطويلة معى؟!

الممثل : (مخاطبا نفسه أيضا تجنبا للخصام) الخلق شىء عظيم أما الغرور فلا عظمة له، لسنا مخلوقات ولكننا شركاء، هو يعرف ذلك وإن أنكره حين الغضب، المسرحية لا تحيا وحدها، يلزمها مخرج وممثلون ونقاد وجمهور، ما قيمة النصر بغير هؤلاء؟ هل تبقى الرواية هى هى إذا تغير الممثلون؟ هل تبقى هى هى إذا تغير المخرج؟ الحق أننا خالقون أيضا، وهو مخلوق لنا بمعنى من المعانى، وجميعنا معذبون بالخلق، والجزاء ليس عادلا، إننا نعيش فترة ثم نختفى كالفقاعات، أما كلماته فتبقى على مدى الأيام..

(صمت)

الناقد : نريد أن نصفى الجو، وبالاحترام المتبادل نصفيه لا بالتفاخر.

الممثل : (آتيا بحركة تدل على الحسرة) إنى أبكى الأيام السعيدة الماضية، أخاف ألا تعود مرة أخرى، كنت أخطر على خشبة المسرح رمزا للإنسان فى ذروة نبله ونضاله، وعلى المسرح كانت تتواجه قوى الخير والشر وبينهما تقوم الإرادة الحرة المتوثبة، والخير لم يكن ينهزم وإن حاقت به هزيمة والشر لا ينتصر وإن أحرز نصرا، ذلك أن خشبة المسرح لم تكن تخلو من إله عادل.

الممثلة : (تتأثر فتقوم لتتمشى وهى تتكلم) أجل، المرأة كانت وحيا، الحب كان دينا، النور يهزم جيوش الظلام بنصله اللامع، الأمومة مقدسة، الوفاء مقدس. الرذيلة شيطان، لا شيء لهو ولعب.

الممثل : أين الآلهة؟ أين البطولة؟ أين الحب؟ أين الأمل؟ لم تبق إلا غابة مليئة بالوحوش، وآدميان هاربان لائذان بكهف، لم يبق إلا الخوف والتوجس والهستيريا والموت، أى دور هذا ؟

(الممثل يقف منفعلا ثم يهتف بصوت مرتفع)

: إنى أرفض مسرحيتك.

المؤلف : لا تتخط حدودك.

الممثل : لم أتخط حدودى.

المؤلف : لا تحلم كالمراهقين.

الممثل : لا تتخط حدود اللياقة.

(صمت)

المؤلف : هذا هو مشروع روايتى الجديدة، وإنى مقتنع به.

الممثل : إنى أرفضها.

الممثلة : (بصوت منخفض) على العين والرأس ولكن . . .

المخرج : عملى يبدأ بعد انتهاء عملك.

الناقد : لا أدرى هل يبكى المشاهد أو يضحك؟

المؤلف : لم يكن أحد يجادلنى فيما مضى.

الممثل : كان العمل رائعا.

المؤلف : المؤلف الحق يطالب بالطاعة والإعجاب.

الممثل : (متهكما) الطاعة والإعجاب؟!

المؤلف : (منفعلا بالغضب) وإلا هدمت المسرح على من فيه.

الممثل : إنى أشهدكم على ما يقول.

المؤلف : من حقى أن أقول ما أعتقده.

الممثل : تحت شرط ألا تمس كرامة الآخرين.

المؤلف : لقد خلقت منكم نجوما وكواكب ولن يعجزنى أن أخلق غيركم.

الممثل : الحق أننا نحن الذين خلقناك.

المؤلف : لو تخليت عنك لتسولت حتى الموت.

الممثل : لولاى لما نجحت لك رواية واحدة ولبثت مؤلفا ناشئا!

(الممثل يتقدم إلى الممثلة فيأخذ بيدها متجها فى تحد إلى المؤلف)

: هل نسيت فضل هذه الفنانة؟ أو حسبت أن الجمهور يتدفق علينا من أجلك؟!

المخرج : (للمؤلف ممتعضا) وأنا يا أستاذ؟ هل نسيت عروضى الرائعة؟

الناقد : (للمؤلف أيضا) سامحك الله، وقلمى الذى كرسته للإشادة بعبقريتك؟ إن الناس لا تثنى عليك إلا بكلماتى . .

الممثل : (غاضبا) نحن الذين خلقناك.

المؤلف : سأعهد بعملى إلى آخرين، اغربوا عن وجهى.

الناقد : لكل مسرح رجاله، ونحن رجال هذا المسرح.

المؤلف : إذن لن تقدم به مسرحيات بعد اليوم.

المخرج : سيغلقه الظلام ويدركه العدم.

المؤلف : لن أتضور جوعا، إنى رجل لم تغره الحياة الدنيا مثلكم، ولكنكم ستتسولون فى مجرى عام.

الممثل : ولكن لن تخلق، وهو ألعن من التسول.

المؤلف : حسن، فليمض كل إلى سبيله.

(صمت)

الناقد : لقد حلت اللعنة بمسرحنا.

الممثلة : قلبى يتمزق.

المؤلف : أنتم المسئولون عن ذلك.

الممثل : أنت وحدك المسئول.

المخرج : مسرح عريق فى القدم والنجاح.

الممثلة : يئس من اللحاق به الأعداء.

المؤلف : وبطرت نعمته أصحابه.

الناقد : لا أصدق، لن يهون أمره على أحد منا (ثم موجها الخطاب للمؤلف) وأنت على وجه الخصوص، ليس أول مرة يعصف بك الغضب . .

المؤلف : (مشيرا إلى الممثل) جاوز حدود اللياقة باستهانة لا تغتفر.

الناقد : ما تزال قابلة للغفران.

المخرج : لن يدرك مسرحنا العدم ولو اضطررنا إلى إعادة تقديم الروايات القديمة.

المؤلف : هذا هو الإفلاس، ولن يخفى على أحد.

(صمت)

الناقد : لنكن إيجابيين فى حوارنا، أصغوا إلىّ، يمكن استخلاص عنصر صراع بطولى من مجرى الرواية.

الممثلة : (بلهفة) كيف؟

الناقد : الرواية مازالت مشروعا، وقد قال الأستاذ إن الرجل والمرأة سيلوذان بكهف، أليس كذلك؟

الممثلة : بلى.

الناقد : إنه كهف كبير، لاذ به كثيرون..

(ينظرون إلى المؤلف مستطلعين فلا يعترض)

: لدينا كهف وسط غابة مليئة بالوحوش والأخطار المجهولة، وهو فى الوقت نفسه مكتظ بالناس، ثمة فرصة لقيام صراع ما بين بطلنا وبين أحد أو أكثر من الآخرين..

الممثل : صراع سخيف؟! غير بطولى، إذا كانت الأخطار تحدق بالكهف من كل جانب، فكيف يجوز أن يقوم صراع بينهم؟!

الممثلة : وكيف يطيب الحب فى مثل ذلك الجو؟!

الناقد : قد يكون صراعا غير منطقى ولكنه ممكن إذا قيس بمقاييس الطبيعة البشرية، وبخاصة إذا توفرت أسبابه...

الممثلة : أسبابه؟

الناقد : المرأة، عدم وفرة الماء والغذاء . .

الممثل : الصراع الحق هو ما قام بين البطل والوحوش، أو بينه وبين المجهول .

(ينظرون جميعا إلى المؤلف مستطلعين)

المؤلف : **(بفتور)** ثمة مجال لصراع فى الداخل وآخر فى الخارج .

الناقد : يسعدنى أن نعود إلى المناقشة . .

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الناقد : المناقشة تفتح الأبواب .

المؤلف : ولكنها تفسح المجال للرغبات الشخصية التى لا تمت إلى الفن بصلة .

الممثل : رغباتى فنية وليست شخصية .

الممثلة : **(فى رقة متناهية)** النهاية مهمة جدا .

المؤلف : المؤلف يكتب مسرحيات متتابعة، لكل مسرحية شخصيتها المستقلة، ولكنها فى مجموعها مسرحية كبرى ذات نهايات متكاملة .

الممثل : ما يهمنا الآن هى مسرحية الافتتاح .

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الممثلة : ليكن صراع من أى نوع كان ولكن يجب أن ينتهى بانتصار الحب .

المخرج : كيف يمكن استخلاص إيقاع غرامى من ضجيج الغابة الموحشة؟!

الممثلة : **(بحدة)** إذن الأفضل ألا يكون للمرأة دور!

الممثل : ما أجمل أن ينتهى الصراع فى الداخل إلى القضاء على أسبابه، ومن ثم يتجهون جميعا نحو الخارج . .

الناقـد : وماذا يقع فى الخارج؟

الممثـل : صراع جديد فنصر جديد.

الممثلة : وحب طيلة الوقت!

الناقـد : حلم جميل ولكن الجمهور لم يعد يستسلم للأحلام طويلا..

المخرج : ثمة مشروع مضاد وهو أن يقضى الصراع على اللائذين بالكهف ثم تقتحمه الوحوش فتلتهم الأحياء والجثث.

الناقـد : كئيب أكثر مما تحتمله الأعصاب..

المخرج : لم يبق إلا أن يستمر الصراع بالداخل والتهديد فى الخارج!

النقـاد : نهاية مفتوحة تدعو للبلبلة..

الممثلة : (محتجة) تتكلمون عن الصراع ولا تذكرون الحب بكلمة.

المخرج : أيا كان الحال فسوف تتخلله لحظات حب وغناء ورقص..

الناقـد : ولكن هل يتفق ذلك مع مرارة الصراع؟

المخرج : هكذا تمضى الحياة، وبذلك نرضى جميع الأذواق.

(ينظرون إلى المؤلف مستطلعين)

المؤلـف : لم أفرغ من عملى بعد.

الناقـد : ما رأيك فى الاقتراحات التى عرضت؟

المؤلـف : لا رأى لى الآن.

الناقـد : ولكننا استعرضنا كافة الاقتراحات المحتملة.

المؤلـف : لا حصر للاحتمالات الممكنة.

الممثـل : عدنا على الأقل بصراع بطولى من أى نوع كان؟

المـمـــــثلـة : وبحب يستحق هذا الاسم!

المـــؤلـــف : لا أعــد بشــىء.

المـمـــــثل : ولكنك حر وبوسعك أن تعد وأن تفى بما تعد.

المـــؤلـــف : لا تتحدث عنى بخير أو شر.

الـناقــــــد : حذار أن يعاودنا الخصام.

المخـــــرج : نحن فى حـاجـة إلى استراحـة قـصيرة، بنا إلى البـوفيـه لنتناول بعض المرطبات.

(ويذهب الناقد والمخرج والممثل. الممثلة تقف ولكنها لا تبرح مكانها. المؤلف يغادر موقفه عند المكتب ليتمشى ذهابا وجيئة. ثم يعود إلى موقـفه مستندا إلى مكتبـه، والممثلة تتابعه بعـينيها طوال الوقت)

المـــؤلـــف : **(كأنما يسأل نفسه)** هل حقا حلت اللعنة بمسرحنا؟

المـمـــــثلـة : لن تحل بنا إلا إذا قررت أنت ذلك.

المـــؤلـــف : ولكنه بمعنى ما مسرحى، إنه جزء من نفسى لا يتجزأ.

المـمـــــثلـة : ونحن عناصره التى لا تقوم إلا بها.

المـــؤلـــف : عمل واحد وهدف واحد.

المـمـــــثلـة : بالحق نطقت.

المـــؤلـــف : فيم الخلاف إذن؟

المـمـــــثلـة : لا خلاف حقيقى ولكنه الخوف، لقد أفسدت المنافسة المريرة أعصابنا.

المـــؤلـــف : بالتالى ضقت بهم ذرعا.

المـمـــــثلـة : ليتسع لهم صدرك.

(صمت)

: هل يضايقك وجودى؟

المؤلف : بل يسعدنى .
الممثلة : (فى شىء من التردد) أود أن أخلو إليك بعض الوقت .
المؤلف : بكل سرور، فرصة طيبة .
الممثلة : لا قيمة لأكليشهات المجاملة لمن يتطلع للعاطفة الحقيقية!
(ينظر إليها فى تساؤل ودهشة)
: لم الآن؟ لم أختار هذه اللحظة لأفضى إليك بأسرار قديمة؟ ربما لأننى شعرت لأول مرة بأنك تهددنا حقا بالفراق الأبدى . .
المؤلف : أعترف بأننى ضقت بالعناء والمكابرة .
الممثلة : عدنى بألا تقرر الفراق مهما يكن من عنادهم ومكابرتهم .
المؤلف : كيف يمكن أن أعد بذلك؟
الممثلة : عدنى بلا قيد أو شرط؟
المؤلف : بلا قيد أو شرط؟
الممثلة : بلا قيد أو شرط .
المؤلف : إنى أشكر لك عواطفك ولكنه طلب غير عادل .
الممثلة : لأنه مسرحك، لأنه مسرحنا، لأننا أسرتك، ولأننى . .
المؤلف : ولأنك؟
الممثلة : ولأننى . . ولأننى . . ولأننى لولاك ما عرفت طريقى إلى المسرح .
المؤلف : حقا؟!
الممثلة : نعم .
المؤلف : لم تحدثينى عن ذلك من قبل .
الممثلة : لم أحدثك عن نفسى قط .

(صمت يتبادلان نظرات صامتة)

: ألا تذكر أيام زمان؟

المؤلف : بلى، حينما كنت طفلة . .

الممثلة : حينما كنت فتاة صغيرة لا طفلة . .

المؤلف : كنت ألمحك فى الطريق أحيانا .

الممثلة : أكنت ترانى حقا؟

المؤلف : من حى واحد كنا، إنى أذكر تلك الأيام .

الممثلة : اعتقدت أنك لم ترنى قط .

المؤلف : فى الشرفة رأيتك وأمام باب البيت .

الممثلة : وقلت لنفسى إما أنه إله أو أنه صخر .

المؤلف : صخر؟!

الممثلة : ذلك أنك لم تعرف سهر الليالى ولا الوسائد المبللة بالدموع .

(يتبادلان نظرة طويلة، هى تلقيها إليه بثبات، وهو بدهشة)

: وصممت على أن أكبر نفسى لعلى ألفت نظرك . انتعلت حذاء بكعب عال، غيرت التسريحة، ضيقت أعلى الفستان لأبرز صدرى، ولكنك لم ترنى . .

المؤلف : (باسما) آسف جدا، كنت صغيرة وكنت كبيرا .

الممثلة : المسألة أنك لم تحبنى . .

(صمت)

: ولحبك أحببت المسرح، أحببت مسرحك، غيرت مجرى حياتى رغم معارضة أهلى الشديدة . .

المؤلف : إنى أغبط نفسى على الخدمة التى قدمتها للمسرح دون تخطيط .

الممثلة : ومضى حبى ينمو بلا حدود، ولما تخرجت فى المعهد اتصلت بك تليفونيا، طالبة ناشئة تعرض نفسها على المؤلف الكبير . .

المؤلف : متى كان ذلك؟ إنى لا أذكره . .

الممثلة : طبعا فهو حديث يتكرر يوميا عشرات المرات .

المؤلف : أكرر الأسف .

الممثلة : وسد سكرتيرك الطريق فى وجهى، ومن ناحية أخرى لم تكن تبرح ضاحيتك أغلب الوقت، ولا تزور المسرح إلا فى أوقات نادرة وفى ظروف مجهولة لى، وهكذا وجدت بابك مغلقا بعد طريق طويل شققته بالجهاد والعناء والصبر .

المؤلف : حكاية مؤسفة حقا .

الممثلة : ما مضى قد مضى .

المؤلف : ولكنك عرفت بالإصرار طريقك إلى مسرحنا .

الممثلة : سلمت بتوجيه السكرتير فذهبت إلى المخرج .

المؤلف : وسيلة ناجعة فيما يبدو .

الممثلة : قابلته واقترحت عليه أن يختبرنى فى مكتبه ولكنه . .

المؤلف : ولكنه؟

الممثلة : اعتذر بضيق الوقت وكثرة الأعمال ثم دعانى إلى مسكنه الخلوى!

(المؤلف يبتسم. الممثلة تقطب)

: غادرته متحدية، وغالبت ترددى حيالك حتى غلبته، فكتبت لك رسالة مطوية اعترفت لك فيها بحبى الذى أسرنى منذ صباى .

(صمت)

: لا تتذكر شيئا؟

المؤلف : الحق.

الممثلة : (مقاطعة) الحق أنك تتلقى مئات الرسائل مثلها!

المؤلف : لم تكن لى ثقة كبيرة فى الرسائل.

الممثلة : ذهبت إلى المسكن الخلوى.

(صمت)

: كثيرا ما يدفع الحب الخائب إلى المساكن الخلوية.

المؤلف : الحياة سلسلة من التجارب المتناقضة.

الممثلة : هكذا انضممت إلى مسرحك.

المؤلف : مهما يكن من أمر فقد كسب بك نجمة لامعة.

الممثلة : وعندما قدمت لك لأول مرة وضح لى أنك لا تتذكرنى.

المؤلف : ولكن سرعان ما تذكرتك.

الممثلة : وثبت لدى أن حبك سراب مستحيل فلذت بصمت الكبرياء.

(صمت)

: ودفعنى حبك المستحيل من بيت خلوى إلى بيت خلوى.

المؤلف : الحق أنك اشتهرت فى الوسط بكثرة العشق!

الممثلة : على حين أنى لم أعرف من الحب إلا حبك!

المؤلف : فنانة كبيرة وقلب كبير.

الممثلة : تصورنى الرسوم الكاريكاتورية امرأة شهوانية بينا أننى أعاف فى أعماقى الشهوة والفساد.

المؤلف : إنى أصدقك .

الممثلة : ولكننى أعبر من خلال علاقاتى العابرة بالآخرين عن تشوفى الخالد إليك .

المؤلف : إنى أحترم عاطفتك وأفهم سلوكك .

الممثلة : ولكنك لا تحبنى ؟

المؤلف : أحبك بقدر ما يستطيع شخص فى سنى أن يحب امرأة فى سنك .

الممثلة : إنك من الذين يتعذر تقدير أعمارهم حتى قيل عنك إنك فى سياحاتك الموسمية حول العالم تجدد شبابك وتنفق فى ذلك عن سعة ؟

(المؤلف يغرق فى الضحك وهى لا تحول عنه عينيها)

المؤلف : هل تؤمنين بالأساطير ؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أعترف أن حبك سيجدد شبابى .

الممثلة : إنك تتكلم من بعيد ، ولا ألومك فلا حق لى عليك ، ولكن لم لَم تتزوج ؟

المؤلف : لم يكنَ الزواج من أهدافى أبدا .

الممثلة : عدو للمرأة ؟ !

المؤلف : لعلى لم أتزوج لشدة حبى للمرأة .

الممثلة : لا خبرة لى بالمغالطات اللفظية .

المؤلف : أعترف بأننى شىء غير مهضوم من وجهة نظر الطبيعة البشرية .

الممثلة : على كل حال ما مضى قد مضى ، وما يهمنى الآن هو ألا تفكر فى هجر مسرحنا .

(صمت)

: طالما أنت على رأسه فإنى أشعر بأنى أعمل فى بيتى وبأن حياتى رغم تمزقها وضياعها لم تفقد كل معنى لها، وبأنى إذا كنت أخفقت فى أن أكون خليلتك أو زوجك فإنى على الأقل نجمة مسرحياتك.

المؤلف : النجمة التى ساقت إلىّ الملايين.

الممثلة : ولا تنس أن الحب هو الدور الذى خلدنى.

المؤلف : وشارك فى تخليد أعمالى.

الممثلة : وإننى أشعر وأنا أقوم به بأننى أمارس حبك الكبير الذى استحال علىّ خارج المسرح.

المؤلف : إنى مدين لك بالكثير.

الممثلة : عدنى إذن ألا تهجرنا مهما يكن من أمر.

(صمت)

: ألا تريد أن تعدنى؟

المؤلف : بدا التفاهم اليوم مستحيلا.

الممثلة : إنهم يحبونك أيضا. صدقنى إنهم يحبونك أيضا، المسألة أنهم خائفون، المنافسة مرة ومزلزلة للأعصاب، وهم من طول ما مارسوا البغضاء فى نزاعهم مع المسارح المحيطة بنا انطبعت البغضاء فى أساريرهم وسلوكهم ونوازعهم، كأنما قد فقدوا القدرة على الحب، وألفوا التحدى والوقاحة والتهور، تصوروا فى غضبهم أنه يمكن أن يوجد هذا المسرح بدونك، محض خيال مريض، تخيلوه بأخيلة هزيلة مريضة، ولو ضننت عليهم بوجودك لتقوضت الجدران فوق رءوسهم، وتلاشت فرص الندم.

المؤلف : لا أوافق على أن أكرر نفسى بحال.

الممثلة : سيدى.. هل حقا لم يبق للفن إلا غابة وكهف ورجل وامرأة يموتان فى حومة هذيان؟

المؤلف : إننى أعرف ما أصنع.

الممثلة : ولكننا لم نعرفه بعد.

المؤلف : علينا أن نواجه الحقائق، هذه مواجهة وليست هروبا.

الممثلة : هبنى قدرا من الحب ليستقيم دورى، ووفر له نصيبا من البطولة!

المؤلف : ممثل متعجرف!.. أهو آخر عشاقك؟

الممثلة : نعم.

المؤلف : أيعاملك ببطولة؟

الممثلة : (ضاحكة فى امتعاض) معاملته لى تتم وراء جدران لا أمام الجمهور.

المؤلف : إنه برمجى نساء كما هو معروف.

الممثلة : ربما.

المؤلف : لماذا ارتضيته عاشقا؟

الممثلة : ليس أسوأ من غيره.

المؤلف : إنه لا يمارس البطولة إلا فوق خشبة المسرح.

الممثلة : والحب الحقيقى أين يمارس إلا فوق خشبة مسرحك؟

المؤلف : إنهم يكرهون مشروعى الجديد لأنه يعكس بصدق خبايا نفوسهم.

الممثلة : كنت رفيقا بهم فى الزمان الأول.

المؤلف : كانت دنيا أخرى، وكانوا ناشئين مبتدئين.

الممثلة : أولهم بعض الاحترام الذى نعموا به قديما.

المؤلف : أعترف لك بأننى أعاملهم دائما باحترام .

الممثلة : حقا؟

المؤلف : وروايتى الجديدة أكبر دليل على ذلك!

الممثلة : لا أفهمك يا حبيبى .

المؤلف : عليك أن تفهمينى يا حبيبتى .

الممثلة : ما أحلى هذا الحديث ، نتحدث كما لو كنا حبيبين حقا .

المؤلف : نحن كذلك .

الممثلة : حقـا؟

المؤلف : كل بطريقته .

الممثلة : ليس للحب إلا طريقة واحدة .

المؤلف : بل له طرق كثيرة .

الممثلة : وما طريقتك فى الحب؟

المؤلف : العمـل .

(تقترب منه خطوة، تمعن فيه النظر)

الممثلة : ألم تحب بطريقتى البسيطة؟

المؤلف : ربما ، ولكن بعيدا عن الوسط الفنى .

الممثلة : (متنهدة) تصور أننى لم أدخل الوسط الفنى إلا سعيا وراء حبك .

(صمت)

: والآن هل تعدنى؟

المؤلف : أرجو أن تسير الأمور سيرا حسنا .

الممثلة : شكرا .

المؤلف : عفـوا .

الممثلة : (بعد تردد) أود أن أقبلك ولو قبلة واحدة .

(الممثلة تقترب منه. يتعانقان متبادلين قبلة طويلة. فى ذات اللحظة يدخل الممثل وفى أعقابه المخرج والناقد. المؤلف والممثلة يفترقان فى كثير من الارتباك. الممثل يذهل لحظة. ثم يحاول الهجوم على المؤلف ولكن المخرج والناقد يحولان دون ذلك)

الممثل : (صائحا) داعرة محترفة وعجوز منحل . . سأحطم رأسك . . .

الممثلة : اخرس . . لا تتكلم بغير فهم .

الناقد : ما رأيناه لا يجوز أن نسيء فهمه ، ما هو إلا عناق أبوى !

الممثل : أبوى ! ! . . أنت لا تعرف شيئا عن تدهور الشيوخ !

المؤلف : تأدب . .

الممثل : سأحطم رأسك ، لن تفلت من قبضتى . . .

الممثلة : اخرس ، قلت لك ألا تتكلم بغير فهم .

الممثل : إنى خير من يفهمك يا خنزيرة !

الممثلة : ما أنت إلا حيوان غبى .

الممثل : لا زلت بغيا تنتقلين من فراش إلى فراش .

الممثلة : تأدب وإلا أسكتك بالحذاء .

الممثل : ولكنك تنتقلين هذه المرة إلى نعش .

الممثلة : (للآخرين) أسكتوا هذا الحيوان الأعمى .

الناقد : (ضاربا جبينه بيده) لقد حلت بمسرحنا اللعنة .

الممثلة : (بصوت مرتفع) لن تحل بمسرحنا اللعنة .

المخرج : سوء فهم واضح ، واضح البراءة .

الناقد : (مخاطبا المؤلف) بوسعك أن تحسم سوء الظن بكلمة .

(المؤلف يلزم الصمت فى كبرياء)

المخـــــرج : (للممثلة) لديك بلا شك ما تدافعين به عن نفسك .

المـمـــــثلـة : إنى أرفض أن أقف موقف الاتهام .

المـمـــــثـل : لقد رأيناهما متلبسين!

المخـــــرج : يجب أن تخجل من نفسك .

الـناقــــــد : حتى إن سوء الظن أمر مخجل .

المخـــــرج : (للمؤلف) تكلم يا أستاذ (ثم للممثلة) تكلمى أنت، علينا أن نتتهى من سوء التفاهم ونصفيه بسرعة لنستأنف مناقشة المشروع الجديد .

المـمـــــثـل : (للمخرج) يا للغرابة، إنك تتكلم عن أعمق العلاقات البشرية كما لو كانت عبث أطفال . . .

المخـــــرج : (للممثل) لقد وجدتنى ذات يوم فى مثل موقفك، وكنت حيال خيانة حقيقية لا مجرد سوء تفاهم برىء، وكان غريمى وقتذاك صديقنا الناقد، كيف تصرفت؟ كظمت غضبى وواصلت تدريباتى للمسرحية الجديدة .

المـمـــــثـل : أنت جبـــان .

المخـــــرج : أنت حيـــوان .

(الممثل يوجه لكمة لرأس المخرج. المخرج يترنح واضعا يده على موضع الضربة. يمضى إلى الكنبة ويرتمى عليها. يسند رأسه إلى مسندها ويمد ساقيه فى إعياء.

الممثلة تثور وتلطم الممثل على خده فيعميه الغضب ويوجه لطمة إلى رأسها فتقع إلى جانب المخرج. الناقد يسرع إلى إجلاسها، ويهجم على الممثل. يتبادلان الضرب حتى يسقطا متتابعين. يقومان مترنحين ويلوذ كل منهما بمقعد حول الكنبة.

الأربعة جالسون متقاربين وفى حالة إعياء شديد تقارب الإغماء. وطيلة الوقت لزم المؤلف موقفه وهو يراقب ما يحدث ببرود)

(صمت)

(يفتح الباب فيدخل السكرتير، يتجه نحو المؤلف دون أن ينتبه إلى الآخرين)

السكرتير : مندوب مجلة إيزيس.

(يدخل مندوب المجلة. السكرتير يغادر الحجرة.

المندوب يمضى إلى المؤلف فيصافحه. يتحول إلى الجالسين ولكنه يتوقف فى ذهول. يردد بصره بينهم وبين المؤلف. يتراجع إلى قريب من المؤلف)

المندوب : آسف على مجيئى دون موعد سابق.

المؤلف : إنها مفاجأة ولكنها سارة.

المندوب : (مشيرا إلى الجالسين) ماذا حصل لهم؟

المؤلف : فرغوا لتوهم من تدريبات الرواية الجديدة.

المندوب : حقا! .. مجرد تدريبات؟!

المؤلف : مجرد تدريبات.

المندوب : إنها رواية عنيفة فيما أرى؟

المؤلف : لا تخلو من عنف.

المندوب : إنى أرى آثار كدمات: وألمس إعياء واضحا على وجوههم، كأنما هى رواية من روايات رعاة البقر!

المؤلف : لا تخلو من حيوانات.

المندوب : حتى فناننا الكبيرة تطرح رأسها فى شبه إغماء، إنه لأمر غير معقول.

المؤلف : لا تخلو من جنون

المندوب : إن عرض مسرحية بذاك العنف شهورا متواصلة يجب أن يعد معجزة!

المؤلف : وهى لا تخلو من معجزات.

المندوب : (مشيرا إلى الممثلة) هل أصيبت وهى تدافع عن شرفها؟

المؤلف : أصيبت وهى تدافع عن شرف البطل.

المندوب : ولكن المعتاد أن البطل يزود عن شرف الآخرين بالإضافة إلى شرفه هو؟

المؤلف : هى لا تخلو من طرافة وجدة!

المندوب : لعل المسرحية تميل إلى التشاؤم؟

المؤلف : لا تخلو من تشاؤم.

المندوب : ولكن موقف البطلة يدعو للتفاؤل فيما أعتقد؟

المؤلف : لا يخلو من تفاؤل.

المندوب : كيف تجمع مسرحية بين التشاؤم والتفاؤل وهما نقيضان؟

المؤلف : لا تخلو من تناقض.

المندوب : معذرة يا عميد المؤلفين ألا يعتبر ذلك ضعفا؟

المؤلف : لا تخلو من ضعف.

المندوب : ولم لَم تبلغ بها الكمال المعهود منك؟

المؤلف : الكَمال للموت وحده.

(المندوب يضحك عاليا. ثم يعقب ذلك صمت)

المندوب : جميع المسارح تتساءل عن عرضكم القادم، وقد بلغت المنافسة بينها ذروة المرارة، المؤامرات تدبر فى الظلام،

المرتزقة يستأجرون لإحداث الشغب، ألا يمكن أن يسود السلام بين المسارح؟

(صمت)

: كثيرون من العقلاء يعقدون عليك الآمال بوصفك عميد المؤلفين لتقوم بخطوة حاسمة فى هذا السبيل؟

المؤلف : لا وقت عندى إلا للعمل.

المندوب : هلا كرست لذلك يوم راحتك الأسبوعى؟

المؤلف : يوم الراحة للراحة.

المندوب : إنهم يحلمون بأن تجمع المسارح فى وحدة متعاونة يسودها السلام الذى يسود مسرحك!!

المؤلف : لن أجد فى سنى هذه من يمكنه التفاهم معى..

(المندوب يبتسم وهو يشد على ذراع المؤلف إعجابا وتقديرا)

المندوب : أعلم أنك لا تحب الحديث عن رواية جديدة قبل عرضها ولكن لدى بعض أسئلة تقليدية يتابعها الجمهور عادة بشغف.

(المؤلف يهز رأسه بالموافقة صامتا)

: كم من الوقت استغرقت فى كتابتها؟

المؤلف : (حاسرا كم الجاكتة عن معصمه اليسرى) أنا لا أستعمل الساعات.

المندوب : م استلهمت فكرتها العامة؟

المؤلف : شرعت فى كتابتها عقب تفكير طويل فى المغص.

المندوب : (ضاحكا) هل يمكن إرجاعها إلى تجربة شخصية مرت بك فى حياتك العامرة؟

المؤلف : ربما أمكن إرجاعها إلى علاقة قديمة قد قامت بينى وبين مطرب أخرس.

المـــنـــدوب : مطرب أخرس؟

المـــؤلـــف : نعـــم .

المـــنـــدوب : وكيف أمكنك معرفة تطريبه؟

المـــؤلـــف : هذا ما ستجيب عنه المسرحية .

(المندوب يضحك عاليا. يصافح المؤلف. يذهب. المؤلف يلقى نظرة على الجالسين. يسوى ربطة عنقه ومنديل جيب الصدر تأهبا للذهاب.

الممثلة تنظر نحوه. تقاوم ضعفها فتعتدل فى جلستها)

المـمـــثلـة : انتظـــر .

(تدلك رأسها. تقوم بصعوبة. تمضى إلى أقرب المقعدين المتقابلين أمام المكتب لتعتمد عليه)

: متى نجتمع لنقرأ النص الجديد؟

(صمت)

: لا تهجرنا .

(صمت)

: لقد وعدت بألا تهجرنا .

(صمت)

: **(مشيرة إلى الجالسين)** ما وقع بيننا ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير .

(صمت)

: سوف تعود المياه إلى مجاريها .

(صمت)

: **(مشيرة إلى الممثل)** سيكون أول من يعتذر ، إنى خير من يعرفه .

(صمت)

(يتبادلان نظرة طويلة. هى متطلعـة فى لهفة وهو لا ينم وجهه عن شىء. فيـتصافـحان ثم يمضى على مـهل إلى الخارج ويرد الباب وراءه. الممثلة تتابعه بعينيها ثم تظل رانية إلى الباب)



(بقعة صحراوية خالية. تقوم فى وسطها هضبة صخرية.
أمام الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر فى ساعته
من آن لآن. الوقت أصيل. الشاب أنيق بدرجة ملحوظة.
والجو يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا.

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة. الشاب يرهف السمع
فى قلق، وباقتراب الأقدام يتجهم وجهه ويتوقف عن المشى
فيلزم مكانه أمام الهضبة.

يدخل رجل فى الخمسين، مهمل الهندام، ولكنه قوى
البنية يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة
فيقف متطلعا إلى الخلاء.

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه
لا يشعر له بوجود. يقترب منه خطوة).

الشاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب)

: ماذا تريد؟

(يظل الرجل رانيا إلى الخلاء كأنما يسمع صوتا)

: (بصوت أشد ارتفاعا) إنى أسألك عما تريد.

(الرجل يبدو مستغرقا فى الأفق، ويترنم مغنيا)

والله زمان والله..

: (بحدة حانقة) لماذا تتبعني؟

(الرجل يواصل ترنمه في هيمان)

: إنني أخاطبك وأنت تعلم ذلك، لا أحد سوانا في هذا الخلاء.

الرجل : (ملتفتا في دهشة) حضرتك تخاطبني؟

الشاب : دون سواك.

الرجل : معذرة، ماذا قلت؟

الشاب : إني أسألك عما تريد مني.

الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا؟!

الشاب : أنت، أنت دون سواك.

الرجل : عجيب سؤالك يا سيدي، أنا لا أريد منك أي شيء.

الشاب : لم إذن تتبعني بإصرار؟

الرجل : أتبعك، إني أراك لأول مرة في حياتي!

الشاب : (بعناد) إنك تتبعني منذ الصباح الباكر، ولم تكف عن تتبعي حتى هذه اللحظة من الأصيل

الرجل : أنت مخطئ في ظنك فأنا لم أرك وبالتالي لم أتبعك.

الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيتك قادما في أثري.

الرجل : لا يحق لي أن أكذبك ولكني لم أرك ولم أتبعك.

الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أهي مجرد مصادفة؟

الرجل : سمها كيفما شئت.

(صمت. يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه).

الشاب : هل تتفضل بإخباري عن الجهة التي تنوي الذهاب إليها بعد هذه الوقفة؟

الرجل : (ملتفتا نحوه فى دهشة) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب؟!

الشاب : معذرة، أود التخلص من فكرة اتباعك لى.

الرجل : أنا لا أعرفك، لم أتبعك، وفى هذا الكفاية.

الشاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا؟

الرجل : بلى.

الشاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم.. فلافل.. بشارع محمد على؟

الرجل : بلى.

الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشمس؟

الرجل : بلى.

الشاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار؟

الرجل : بلى.

الشاب : ألم تشهد مزادا بصالة المعروضات بالدقى؟

الرجل : بلى.

الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان؟

الرجل : بلى.

الشاب : ألم...

الرجل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى؟

الشاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا؟!

الرجل : أليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه الدقة؟!

الشاب : ولكنك كنت، لا مؤاخذة، كأنك كنت تتبعنى!

الـــرجـــل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور.

الـشـــاب : فى كل مكان رأيتك قــادمــا فى أثرى، حــتى فى هذه المنطقة النائية الخالية!

الـــرجـــل : عجيب أننى لم أرك ولا مرة واحدة.

الـشـــاب : الحق أن عينينا التقتا أكثر من مرة.

الـــرجـــل : لا يرى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء.

الـشـــاب : إذن فأنت لا تتبعنى؟

الـــرجـــل : ولم أتبعك؟

الـشـــاب : لعلك تعذرنى.

الـــرجـــل : لـك العــذر.

الـشـــاب : مصادفة عجيبة.

الـــرجـــل : هى بالقياس إلى لا شىء.

(الشاب يضحك ضـحكة عصبية ثم يسـود الصمت. وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)

: آسف جدا لأنى أزعجتك بغير قصد.

الـشـــاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا.

الـــرجـــل : ليس فى جميع الأحوال.

الـشـــاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى.

الـــرجـــل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة.

الـشـــاب : لا يكفى هـذا لإسـكات وسـاوسك مـا دمت تجـهله وتجهل مقصده.

الـــرجـــل : (باسـمـا) أيهـمـا أبعث على الخـوف.. المجـهـول أم المعروف؟

الـشـــاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا.

الـــرجـــل : الحق أننا نخاف أكثر مما ينبغى .

(الشاب يصمت متجهما)

: أكـرر الأسـف .

الـشـــاب : (بعصبية) الحق أنك أفسدت علىَّ يومى كله .

الـــرجـــل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندرى .

الـشـــاب : وجـئت إلى هذه الـبـقـعـة الخـاليـة النائيـة لأكـتـشـفك وأحرجك!

الـــرجـــل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .

الـشـــاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجىء إلى هنا؟

الـــرجـــل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .

الـشـــاب : أتحب الغروب؟

الـــرجـــل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .

الـشـــاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا؟

الـــرجـــل : أنا أحب الناس .

الـشـــاب : (بعد تردد واضح) هلا أخبرتنى عن خطواتك التالية؟

الـــرجـــل : أما زلت على ريب منى؟

الـشـــاب : كلا ، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .

الـــرجـــل : الواقع أنى سـرت طيلة اليوم على غـير هـدى وبلا خطة موضوعة ، إنه يوم عطلتى .

الـشـــاب : لابد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الـــرجـــل : من طول خضـوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فإنى أتحرر يوم العطلة من أى قيد .

الـشـــاب : أمـا أنا فـسـأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حـانة «الأحمر والأبيض» .

الرجل : (بحماس مفاجئ) حانة النبيذ الفاخر والسلطة الخضراء! . . ما أجملها!

الشاب : هل تقرر الذهاب إليها؟

الرجل : أعترف بأنك ذكرتنى بمكان أحب الجلوس فيه!

الشاب : وبعد ذلك سأمضى إلى بيتى!

الرجل : من يدرى، ربما توثقت العلاقة بيننا فى «الأحمر والأبيض» فنمضى إلى البيت معا.

(يضحكان معا، ثم يسود الصمت. يلتفت الشاب إلى الناحية الأخرى فيعود الرجل إلى التطلع صوب الأفق. الشاب يتمشى غير خال من القلق. يختلس إلى ظهر الرجل النظرات، ينظر فى ساعته، يتضاعف قلقه. تدخل فتاة جميلة متأنقة. ما إن ترى الشاب حتى تهرع نحوه متهللة ولكنها تنتبه إلى وجود رجل غريب فتتمالك مشاعرها وتلوح فى وجهها خيبة. الشاب يمضى بها إلى يمين الهضبة. يتبادلان قبلة)

الشاب : لسنا وحدنا.

الفتاة : ماذا يفعل؟

الشاب : ينتظر الغروب!

الفتاة : الغروب؟!

الشاب : (متهكما) أحب ساعات اليوم إليه.

الفتاة : هل تعرفه؟

الشاب : كلا.

الفتاة : هل حادثته؟

الشاب : نعم.

الفتاة : لِمَ؟

الشـــاب : الواقع أنه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .
الفـــتـــاة : (بدهشة) كيف؟
الشـــاب : ظننته يتبعنى .
الفـــتـــاة : ما دام لم يفارقك طوال اليوم .
الشـــاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرنى .
الفـــتـــاة : وهل صدقته؟
الشـــاب : لـم أكـذبه .
الفـــتـــاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب؟
الشـــاب : إنى ضنين باللقاء .
الفـــتـــاة : ولكن قلبى غير مطمئن .
الشـــاب : لعله ينتظر صديقة .
الفـــتـــاة : ليتها تجىء لتحل المشكلة من أساسها .

(يتبادلان قبلة طويلة)

: (مشيرة إلى الناحيـة الأخرى من الهضبة) لم يفارقك طوال اليوم؟

الشـــاب : بـلى .
الفـــتـــاة : لنـذهب .
الشـــاب : لماذا يتبعنى؟
الفـــتـــاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الأمر بى؟
الشـــاب : هل سبق لك أن رأيته .
الفـــتـــاة : لا لم ألمح إلا ظهـره، وبسرعة عابرة، لم يذكرنى بأحد أعرفه .
الشـــاب : لا داعى لكثرة الظنون .
الفـــتـــاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب .

الشـــــاب : لننتظر فإنى ضنين باللقاء .
الفـــتـــاة : أعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .
الشـــــاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره!
الفـــتـــاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .
الشـــــاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبث بنواياه .
الفـــتـــاة : نوايـــاه؟!
الشـــــاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضمرها حقا .
الفـــتـــاة : ولكن كيف؟
الشـــــاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا .

(يتعانقان وهما يتبادلان قبلة طويلة. يواصلان العناق والقبل كأنما قد نسيا الآخر تماما. فى أثناء ذلك يجلس الآخر على الأرض كأنما أتعبته الوقفة، يمد ساقيه ويسند رأسه إلى حافة الهضبة. صوت غراب ينعق. الشاب والفتاة يفيقان من سكرة الحب. يتبادلان النظر فى دهشة)

الفـــتـــاة : كم مضى من الوقت؟
الشـــــاب : لا أدرى، ولن أنظر فى الساعة فما أحب أن أكدر صفونا بالزمن .
الفـــتـــاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب؟
الشـــــاب : سيان عندى أن يذهب أو أن يبقى .
: لا يند عنه صوت .
: لعله مات .

(صمت يتخلله تبادل قبل)

: من الحماقة أن أخافه .
الفـــتـــاة : ولكنك تجهله .

الشاب : هو على أى حال كهل وبوسعى أن أصرعه بلكمة واحدة .

الفتاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضورى .

الشاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .

الفتاة : لعله . .

(وقبل أن تتم كلامها يترامى إليهما شخير منتظم من ناحية الرجل. يتبادلان نظرة ذاهلة)

: نام؟

الشاب : لعله شخير رجل آخر .

(الشاب يمضى فى حذر شديد نحو الرجل. تتبعه الفتاة. يلقيان عليه نظرة داهشة. الرجل يستيقظ لدى وقوع نظرتهما عليه كأنما رمى بطوبة. ينهض بسرعة ويحدق فيهما بانزعاج وتحد معا)

الرجل : (متجهما) من أنتما؟ . . ماذا تبغيان؟

الشاب : لا مؤاخذة لم نقصد إزعاجك .

الرجل : (مستعيدا تذكره وهدوءه) آه . . أنت . .

(صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما)

: (باسما) وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى !

الشاب : أى أحداث؟

الرجل : (ناظرا إلى الفتاة) كنت وحدك فيما أذكر !

الشاب : ثم لحقت بى خطيبتى !

الرجل : (مبديا دهشة سمجة) خطيبتك !

الشاب : (بحدة) نعم خطيبتى !

الرجل : (بقحة) وكيف تجىء بخطيبتك إلى هذه البقعة النائية المهجورة؟

الشـــاب : (غاضبا) بأى حق تحاسبنى على ما أفعل؟

الـــرجـــل : (متراجعا) معذرة. لم أسترد تفكيرى السليم بعد.. (يهمّ الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سبيلهما)

الـــرجـــل : متى نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض»؟

الشـــاب : نذهب؟

الـــرجـــل : ألم نتفق على ذلك؟

الشـــاب : كلا.. قلت لك إنى ذاهب لا إننا ذاهبان، وقد عدلت عن قرارى.

الـــرجـــل : يا للخسارة!

الشـــاب : اذهب أنت إذا شئت...

الـــرجـــل : لعلك ضحكت علىّ حين كنت تنتظر خطيبتك؟

الشـــاب : لا داعى للأخذ والرد.

الـــرجـــل : إذن فلم تقصد هذا المكان لتحرجنى كما قلت؟

الشـــاب : لننه حديثا لا جدوى منه.

الـــرجـــل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة.

الشـــاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى.

الـــرجـــل : (راجعا إلى مكانه الأول) أتمنى لكما وقتا طيبا.

(الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى الأفق. يعود الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين الهضبة).

الشـــاب : ها قد عدنا إلى الجنة.

الفـــتـــاة : ليتنا لم نغادرها.

الشـــاب : لعنة الله على الفضول.

الفـــتـــاة : دعنى أذهب..

(يضمها إلى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)

الشـــاب : ابتسـمى .

الفـــتـــاة : يا له من رجل كريه!

الشـــاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود. فى أثناء ذلك يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتهما ويبدو سعيدا بمشاهدتهما. ينتبهان إليه. ينفصلان فى ارتباك وانزعاج. الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الـــرجـــل : ما أجمل هذا!

الشـــاب : وقاحـــة .

الـــرجـــل : استمرا فى لعبكما الظريف .

الشـــاب : (محتدا) ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : بالله لا تغضب .

الشـــاب : وقـــح .

الـــرجـــل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .

الشـــاب : ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : أحب أن أرى الأشياء الظريفة .

الشـــاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .

الـــرجـــل : لقد تسللتما لتلقيا على نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفـــتـــاة : (وهى تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها) إنى ذاهبة .

الـــرجـــل : (للفتاة) لا تذهبى ، لم أقصد إزعاجك .

الشـــاب : هذا سلوك غير لائق .

الـــرجـــل : بل هو طبيعى وجميل .

الشاب : اذهب .

الرجل : ألا ترى أنى أعرض مودتى بغير حساب؟

الشاب : اذهب وإلا . .

الرجل : يجدر بك ألا تهددنى .

الشاب : سأفعل أكثر من التهديد .

الرجل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .

الشاب : لك .

الرجل : ولك أيضا .

الشاب : لا تحملنى على تأديبك وأنت فى سن أب .

الرجل : لا تغتر بفوارق السن .

الفتاة : دعنى أذهب .

الرجل : (للفتاة) محال أن تكدرى صفوك بسببى .

الفتاة : إذن فابتعد عنا .

الرجل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .

الشاب : أأنت مجنون؟

الرجل : أنا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك إذا شئت .

الشاب : ماذا تعنى؟

الرجل : (حانيا رأسه بأدب) دعنى أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك .

(الفتاة تلطمه. الرجل يتلقى اللطمة باسما)

(صمت)

الفتاة : (هامسة للشاب) دعنى أذهب .

الشاب : (بعناد وكبرياء) كلا .

الفـــتـــاة : بل يجب أن أذهب فى الحال .

الشـــاب : (بإصرار) لن تذهبى .

(الرجل يبتعد خطوات، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يبتسم)

الـــرجــل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير ، ولكنى أتلقى اللطمات ، وكلمات أقسى من اللطمات ، لماذا؟ لماذا يصر الناس على الوهم والحماقة؟ لم لا يقفون على أرض الواقع؟ كيف لا يفرقون بين العدو والصديق؟

الفـــتـــاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .

الشـــاب : لـن تذهـبى .

الفـــتـــاة : لا فـائدة .

الشـــاب : ولكنك لن تذهبى .

الـــرجــل : (مستمرا فى مخاطبة الخلاء) المتعلم والأمى فى الجهالة سواء ، لمَ يسيئون الظن بى؟ ماذا عليهم لو استمروا فى لهوهم أمام وجودى البرىء؟ أحب مشاهدة الأفراح ، ولا عدو لى إلا الحماقة والأنانية .

الفـــتـــاة : (للشاب) إنه مجنون .

الشـــاب : ليكـــن .

الفـــتـــاة : إنى خائفة .

الشـــاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الـــرجــل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شىء ثم يلقون بها فى وجهى ، أهيم على وجهى باحثا عن أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد ، الخلاء يشهد بأننى ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة .

الفتاة : إنه مجنون، لن أبقى دقيقة أخرى.

(الفتاة تمضى نحو الخارج. الشاب يلحق بها فيمسك بيدها)

: لابد من ذهابى.

الشاب : ولكن . . .

الفتاة : لا تُكرهنى على البقاء.

الشاب : إذن فلأوصلك.

الفتاة : (مانعة إياه بيدها) ابق هنا حتى لا يتبعنا.

(يتصافحان. تغادر المكان. الشاب يتبعها بعينيه. الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله)

الرجل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف.

(الشاب يصر على تجاهله)

: أى نحس يفسد علىّ مطالبى البريئة؟!

(الشاب يتمشى والرجل يتبعه كظله)

: أكرر الأسف من كل قلبى.

الشاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك؟

الرجل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس!

الشاب : أتسخر منى؟

الرجل : صدقنى فيما أقول، بيد أنى رجل سيئ الحظ.

الشاب : لقد ضيعت علىّ ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء.

الرجل : أنا؟

الشاب : دون غيرك.

الرجل : كلما سعيت إلى إنسان بقلب مفتوح رُميت بهذه التهمة.

الشاب : يخيل إلىّ أنك ذو تاريخ قديم فى النحس.

الـــرجـــل : لا ذنب لى على الإطلاق .

(الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر)

: أود أن تؤمن ببراءتى .

الشـــاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نحسك؟

الـــرجـــل : فرصة طيبة للحديث والتعارف .

(الشاب يقطب ثم يسود صمت)

: افتح لى صدرك .

الشـــاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت؟

الـــرجـــل : (باسما) بصراحة نعم .

الشـــاب : إذن كذبت علىّ؟

الـــرجـــل : بسبب نحسى المزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .

الشـــاب : أكنت تعرفنى؟

الـــرجـــل : كـــلا .

الشـــاب : لم تبعتنى؟

الـــرجـــل : إنى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .

الشـــاب : أيـا كـان؟

الـــرجـــل : أيـا كـان .

الشـــاب : كـل يـوم؟

الـــرجـــل : كـل يـوم .

الشـــاب : أليس لك عمل فى الحياة؟

الـــرجـــل : ليس لى عمل .

الشـــاب : ثـــرىّ؟

الــرجــل : موفور الإيراد .

الشــاب : ما قصدك من مطاردتى؟

الــرجــل : أتصيد لحظة للتعارف .

الشــاب : أليس لك أصدقاء؟

(صمت)

الــرجــل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس!

الشــاب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى لازمنى طيلة يومى .

الــرجــل : لا تكن كالآخرين .

الشــاب : فى ميدان القلعة زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .

الــرجــل : (باسما) كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة!

الشــاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .

الــرجــل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق!

الشــاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .

الــرجــل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .

الشــاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .

الــرجــل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .

الشــاب : وأخيرا أفسدت علىّ أجمل ثمرة فى يومى .

الــرجــل : ألم توقظنى من النوم بنفسك؟

(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)

الشــاب : أليس لك أصدقاء؟

الــرجــل : (متنهدا) كلا .

الشــاب : ألست رب أسرة؟

الــرجــل : جربت حظى مرات ولكنى لم أوفق!

الشـــاب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذة.

الــرجــل : العفـــو.

الشـــاب : أظن آن لى أن أذهب

الــرجــل : (يتوسل) كـــلا.

الشـــاب : ليس ثمة ما يدعونى إلى البقاء.

الــرجــل : فلنشهد الغروب معا.

الشـــاب : لا أحب الغروب.

الــرجــل : ثم نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض».

الشـــاب : لن أذهـــب.

الــرجــل : إذا كنت مفلسا فلا يهمك.

الشـــاب : لن أذهـــب.

الــرجــل : تكره مرافقتى؟

الشـــاب : نعـــم.

الــرجــل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك.

الشـــاب : (محتدا) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب!

الــرجــل : أقلع عن الخرافات.

الشـــاب : أقلع أنت عن نحسك.

الــرجــل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعة الغروب فحسب.

الشـــاب : وداعـــا.

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصـرامة. الآخر ينظر إليه بأسف. عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجأة ويعلو صوته بالتـأوه ثم ينحنى قـابضا بيـديه على ركـبتـه. الرجل يلحق به متسائلا)

الــرجــل : مـــالك؟

الشـــاب : ركبتى!

الرجـــل : مد ساقك، دلكها.

الشـــاب : نار.. نار موقدة..

(يثب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل الهضبة. يمد ساقه السليمة ويثنى الأخرى ثم يتأوه من الأعماق)

الرجـــل : ماذا حدث؟.. كنت فى غاية الصحة.

الشـــاب : الحق أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا...

الرجـــل : لكنك لم تشكُ طيلة الوقت.

الشـــاب : كان يعاودنى ألم خفيف فظننته عابراً.

الرجـــل : حالة طارئة لا تلبث أن تزول.

الشـــاب : لعل وعسى.

الرجـــل : من المفيد أن تدلكها.

الشـــاب : لا أستطيع لمسها.

الرجـــل : حال بسيطة فيما أعتقد.

الشـــاب : **(متأوها)** قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور.

الرجـــل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك.

الشـــاب : صدقنى فإن الحال خطيرة حقا.

الرجـــل : أرجو أن تكون واهما...

الشـــاب : أريد إسعافا عاجلا...

الرجـــل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف.

الشـــاب : وتعود بسرعة من فضلك!

الرجـــل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة.

الشـــاب : **(بقلق)** لا تتركنى وحدى طويلا.

الرجل : ماذا تخاف؟

الشاب : المساء قريب، وهذه بقعة غير مأمونة لإنسان عاجز.

الرجل : وما الحل؟

الشاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك؟

الرجل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه، جرب أن تسير على مهل.

الشاب : الحال أخطر مما تتصور.

الرجل : لابد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب!

الشاب : ولكنك لن تتركنى وحدى!

الرجل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعفنى بحل.

(صمت وتأوه)

الشاب : ولكنك لن تفعل ذلك.

الرجل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى ما شاء الله ولكنى سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة.

(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة)

: سأفعل من أجلك ما لا تنتظره من رجل لا تعرفه ولا يعرفك.

الشاب : (بحياء) حدثتنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد.

الرجل : (بشىء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى!

الشاب : اغفر لى غضبى الأحمق!

الرجل : الحق أنك كرهتنى طوال الوقت.

الشاب : الإنسان عدو ما يجهله ولكنى سأعرفك من خلال سلوكك النبيل.

الــــرجـــــل : (بنبـرة لم يعـد بها أثر من الـرقة القـديمة) لا أقـبل اصطيـاد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة .

الـشــــــاب : (بضراعة) ولكنك إنسان كبير القلب .

الــــرجـــــل : أول كلمة طيبة أسمعها منك .

(صمت)

الـشــــــاب : ماذا تنوى أن تفعل؟

الــــرجـــــل : سأشاهد المغيب ثم أذهب .

الـشــــــاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل؟

الــــرجـــــل : لا حيلة لى فى ذلك .

الـشــــــاب : سيكون سلوكك غير إنسانى .

الــــرجـــــل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاتهام واللعنة!

(الشاب يتأوه)

: أأنا الذى خلقت النحس حقا؟

(الشاب يتأوه)

: كـيـف تعـاملون التـربى؟ . . . إنه يوارى جـثـثكـم فى التراب، يصون كرامتكم، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر، ويستـحق فى أحـاديثكم التـقليـدية الجنة بغـير حسـاب، ولـكنه لا يسـعـد فى حـيـاته بصـديق واحـد، ويمضى وحيدا كالوباء . . .

الـشــــــاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا .

الــــرجـــــل : كم صـددتنى، كـم أهنتنى، ولـم تصـدق أننى إنسـان إلا بعد إصابتك وقبيل الغروب .

الـشــــــاب : يا لسوء حظى!

الــــرجـــــل : ها أنت تعود إلى اتهامى .

الشـــــاب : لم أقصد هذا ألبتة .

الـــرجـــل : ألست النحس الذى سلبك المال والحب والصحة؟

الشـــــاب : ســـيدى!

الـــرجـــل : أين فتـــاتك؟

الشـــــاب : لا سبيل إليها الآن .

الـــرجـــل : أليست هى أوْلى بتمريضك منى؟

الشـــــاب : إنها لا تعلم بما حل بى .

الـــرجـــل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه .

الشـــــاب : (متأوها) أريد إسعافا .

الـــرجـــل : سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة .

الشـــــاب : لا تتـــركنى .

الـــرجـــل : (متأفـفا) إنك مزعج فى مرضك كـما كنت مزعـجا فى صحتك .

الشـــــاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض؟

الـــرجـــل : ألا ترى كم أنهكنى السير؟

(صمت)

الشـــــاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية؟

الـــرجـــل : لا خبرة لى بشىء .

الشـــــاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة .

الـــرجـــل : أعرف كيف أسير على غير هدى ، وأعرف كيف أسير فى أعقـاب إنسـان أحـمق ، وأعـرف كـيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا .

الشـــــاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب .

الـــرجـــل : سأذهب عندما يجب الذهاب .

الشـــــاب : لا تذهـــب .

الـــرجـــل : اعتـدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب فى البقاء وأن يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(الشاب بتأوه. جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء. الرجل يمضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس الغاربة)

الشـــــاب : لا تبتعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .

الـــرجـــل : صه، لا تكدر صفو الساعة، الساعة الفريدة، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس، الوحيدة التى تنظر فيها إلى الشمس دون أن تُصاب بالعمى، الوحيدة التى يُرى فيها الظلام وهو يزحف، الوحيدة التى أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات، ها هى الشمس تختفى تماما . . .

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو إليه دقيقة).

الـــرجـــل : الـــوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشـــــاب : لا تذهـــب .

(يواصل السير غير ملتفت إليه)

: أستحلفك بالله .

(يواصل سيره)

: انتظر . . انتظر . . .

(الرجل يختفى)

: عليك اللعنة . .

(الشاب ينظر فيما حوله بخوف. الظلام يهبط رويدا رويدا

حتى يختفى كل شيء... تمر فترة قصيرة على تلك الحال، ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة. ويسمع وقع أقدام قادمة. من يمين الهضبة ومن يسارها يجيء رجلان حاملين مشعلين، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين. يقفان على مبعدة من الشاب إلى اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت. يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم. ثم يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبلا معقودا. يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه. يوثقان يديه وقدميه بإحكام ثم يعودان إلى وقفتهما ممعنين فيه النظر. الشاب يفتح عينيه. ينظر إلى الأمام فى ذهول. يهم بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال. ثم ينتبه إلى وجود الرجال الأربعة. يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل)

الشاب : من أنتم؟ . . وماذا تريدون؟

الرجل ١ : (للرجل رقم ٢ فى تهكم) إنه لا يعرفنا!

الرجل ٢ : (فى تهكم أيضا) طبعا . . إنه يرانا لأول مرة.

الرجل ١ : (للشاب) أليس كذلك أيها المخادع المارق!

الرجل ٢ : أنت لا تعرفنا، هه؟

الشاب : آسف، لم أكن أفقت من النوم بعد.

(يركلانه بقدميهما فيصرخ)

: الرحمة . . .

الرجل ١ : (ضاحكا) ابن الأبالسة يطلب الرحمة!

الشاب : لا تحكموا عليّ بالظواهر، أنا برىء. . .

الرجل ٢ : نفس الكلمات، لا جديد، نفس الأكاذيب العفنة!

الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد.

الرجل ١ : الزمن، الزمن، ذلك المتهم الوهمى.

الشاب : الرحمة.

الرجل ٢ : الرحمة؟!

الشاب : العدل.

الرجل ١ : لا يدرى ماذا يطلب.

الشاب : الرحمة والعدل.

الرجل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل؟

الشاب : الرحمة والعدل.

الرجل ١ : لا تكن طماعا.

الرجل ٢ : نحن لا نعطى عادة إلا الموت.

الرجل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان.

الشاب : ولمَ لا يجتمعان؟

(يركَلانه مرة ثانية فيصرخ)

الرجل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن تعامل بالرحمة فى الوقت نفسه؟!

الرجل ٢ : حدد أفكارك عما تريد، العدل أم الرحمة؟

الرجل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة؟

الشاب : الرحمة، لعلّ الرحمة هى ما أريد...

الرجل ١ : ألست على يقين مما تريد؟

الشاب : لست على يقين من شىء، لقد أنهكنى التعب.

الرجل ٢ : ألم تبدد الوقت بغير حساب؟

الشاب : يلزمنى شىء من الراحة لأحسن الإجابة، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية.

الرجل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد!

الــرجــــل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة!

الــشــــــاب : أليست جميعها أخوات لا يفترقن؟

الــرجــــل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة!

الــرجــــل ٢ : استمر فى الطلب إلى غير نهاية، وبلا حياء، ماذا تريد أيضاً؟.. ثروة؟.. صحة؟.. جاه؟.. ما رأيك فى الحب؟.. الذرية؟.. طاقية الاختفاء؟ جناحين للطيران؟ هرمونات لتجديد الشباب؟ مهضمات وملينات ومسهلات؟ فاتحات شهية؟ جواز سفر إلى جميع البلدان؟ ماذا تريد أيضا؟

الــشــــــاب : بعض الرفق، نحن إخوة!

الــرجــــل ١ : إخوة!، من ناحية الأب أم من ناحية الأم؟

الــشــــــاب : أعنى أننا جميعا بشر.

الــرجــــل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية، هه؟ ولأنك تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف تحاول استغفال الكون كله، ماذا تريد أيضا؟

الــشــــــاب : إنى متألم فكوا قيودى.

الــرجــــل ٢ : تريد الحرية؟

الــرجــــل ١ : إن كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التى نقتلك بها.

الــشــــــاب : لا تسخروا منى، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة!

الــرجــــل ١ : كذبت، كل واحدة منها تُستورد من بلد غير البلد التى تُستورد منه الأخرى.

الرجل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة.

الشاب : إنى متألم لحد العجز.

الرجل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة؟

الرجل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد.

الرجل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه.

الرجل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها!

الرجل ١ : ماذا تريد؟.. تكلم بوضوح وصراحة، العدل أم هرمونات تجديد الشباب؟ الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان؟ الحرية أم أملاح الفواكه الفوارة؟ ما طريقة القتل المفضلة لديك؟ ألك وصية بما يتعلق بجثتك؟.. أترغب فى دفنها؟.. فى حرقها؟.. فى تركها فى الخلاء؟.. فى شحنها إلى بلد معين؟

الرجل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك؟.. أن نتركها للديدان؟.. أن نهبها للجمعية الطبية؟.. أن نصنع منها قنابل مدمرة؟

الشاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا.

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : لقد بددت وقتنا سدى، ألهذا أرسلناك؟

الشاب : أرسلتمونى؟!.. متى كان ذلك؟.. لم يرسلنى أحد!

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : أحقا لم يرسلك أحد؟

الشـــــاب : معذرة، ضعفت ذاكرتى من المرض والإنهاك، معذرة.

الـرجـــل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كُلّفت بها؟

الشـــــاب : المهمـــة؟!

الـرجـــل ٢ : المهمة التى كُلّفت بها!

الشـــــاب : أى مهمـــة؟

الـرجـــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يضربه بالسوط.. الشاب يصرخ)

الـرجـــل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك؟

الشـــــاب : أنتم صـادقـون وأنا مـعـذور، الزحـام هناك شـديد، والأصـوات مزعجـة، وعمـلى اليـومى اسـتغرق جـلّ وقتى.

الـرجـــل ١ : وما عملك اليومى؟

الشـــــاب : مـدرس تـاريخ.

الـرجـــل ٢ : حدثنا عن دروسك، ماذا فعل الإنسان القديم؟

الشـــــاب : اكتشـف الزراعـة، صنـع التقـويم، بنى الأهـرام، هزم وانهزم...

الـرجـــل ١ : ألم يذكرك شىء من ذلك بمهمتك؟

الشـــــاب : كنت مستغرقا طوال الوقت.

الـرجـــل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس؟

(الشاب يصمت. الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)

الـرجـــل ٢ : اعتـــرفْ..

الشـــــاب : اللعنة على ذاكـرة لا تـسـعف صـاحـبـهـا بما يـحب أن تتذكـره.

الـرجـــل ١ : كـــذاب.

الرجل ٢ : اعترف بأنك تجنبت ذكر ما يجر عليك المتاعب.

الرجل ١ : مخادع جبان.

الشاب : جربونى مرة أخرى!

الرجل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى.

الشاب : أعطونى رسالة مكتوبة كيلا أنسى.

الرجل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التى تواجهك؟

الشاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة.

(الرجل ٢ يضربه بالسوط. الشاب يصرخ)

الرجل ١ : ماذا فعلت بيومك الطويل؟.. لِمَ قصدت ميدان القلعة؟

الشاب : كنت أسير على غير هدى.

الرجل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسَل إلى هناك إلا لمهمة؟

الشاب : كان اليوم عطلة.

الرجل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكرك بمهمتك؟

الشاب : زلّت قدمى فوقعت على ركبتى.

(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الرجل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشىء؟.. ولا المقهى؟.. ولا دار الآثار؟.. ولا صالة المزاد؟.. ولا عيادة الطبيب؟

(الشاب يصمت فى يأس)

: وماذا جاء بك إلى الخلاء؟

الشاب : فتاة.

الرجل ٢ : ولِمَ اخترت للّقاء مكانا هو أصلح لدفن الموتى؟

(صمت)

: لم يذكرك اللقاء بشىء عن مهمتك؟

الشـــــاب : ثمة رجل كريه كان يتبعنى طول الوقت فشتت فكرى .

الـرجـــل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكّرك بشىء!

الشـــــاب : هو النحس نفسه، وقد أفسد كل شىء .

(الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الـرجـــل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .

الـرجـــل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .

الـرجـــل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .

الشـــــاب : ما تلقيت تحذيرا قط .

الـرجـــل ١ : كذاب غبى أعمى .

الشـــــاب : الرحمـــة!

الـرجـــل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية؟

الـرجـــل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا.

الرجل ١ يشيـر إشارة خـاصة إلى الرجلين حاملـى المشعلين.

الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان إلى مكانهما الأول وراء الهضبة)

حامل المشعل : (مخـاطبا الـشاب) لمَ تحن أسـراب الطيـور المهاجـرة إلى أعشاشها التى تركتهاَ فى الجبل؟

(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)

: تذكـر أن الطفل يبكى حين تنحيـه أمـه عن ثديهـا الأيمن ولكنه يجد فى اللحظة التالية سلوه فى ثديها الأيسر .

(يمضى حامل المشعلين فى مشـية متمهلة والآخر يتبـعه حاملا الشاب بين يديه)

(ســـتار)

المطاردة

(المسرح خال تماما. يدخل شابان فى ميعة الصبا. يرتدى أولهما قميصا أبيض وبنطلونا رماديا قصيرا وحذاء من المطاط، ويرتدى الآخر قميصا أحمر وبنطلونا أزرق وحذاء من المطاط. سنطلق على الأول «الأبيض» نسبة إلى قميصه والآخر الأحمر نسبة إلى قميصه أيضا. ينظران فيما حولهما باستطلاع واهتمام).

الأبيض : مكان مناسب وبه كل ما نحتاج إليه.

الأحمر : إنه مكان على أى حال ونحن فى حاجة إلى مكان.

الأبيض : (كمن يتذكر) يخيل إلىّ أننا لعبنا فيه من قبل.

الأحمر : (هازئا) دائما تقول ذلك.

الأبيض : أو لعله قريب الشبه منه.

الأحمر : المهم أنه مكان صالح للعب.

الأبيض : هذا هو المهم حقا.

الأحمر : وهو بعيد فلن يهتدى إليه.

الأبيض : أرجو ذلك.

الأحمر : لعله يجد ما يشغله عنا.

الأبيض : لعله.

الأحمر : كأنه لا هم له إلا التطفل علينا.

الأبـــيـــض : لو نوفق إلى تجاهله!

الأحـــمـــر : كيف وهو لا يتركنا لحالنا؟

الأبـــيـــض : فلنلعب .

الأحـــمـــر : فلنلعب .

الأبـــيـــض : لنلعب لعبة الأحلام .

الأحـــمـــر : إنها مضجرة وخير منها الملاكمة .

الأبـــيـــض : الملاكمة رياضة عنيفة فلنجر فى الهواء الطلق .

الأحـــمـــر : (ساخرا) أنت جبان .

الأبـــيـــض: (باسما) أنت حيوان .

(يتوثبان لبعضهما فى تحد ـ يتراجعان وهما يرهفان السمع فى قلق).

الأبـــيـــض : ماذا هناك؟

(الأحمر يشير إليه بالسكوت ويرهف السمع)

الأبـــيـــض : سمعت شيئاً؟

الأحـــمـــر : وقع أقدام!

الأبـــيـــض : حقا؟!

الأحـــمـــر : اسمع ولا تتكلم .

الأبـــيـــض: **(مرهفا السمع. وقع الأقدام يتضح)** وقع أقدام حقا .

الأحـــمـــر : هو؟

الأبـــيـــض : أو أى ذى قدمين .

الأحـــمـــر : لا تتظاهر بعدم الاهتمام .

الأبـــيـــض : أنا لا أحسن التظاهر ولا أحبه .

الأحـــمـــر : ألا يزعجك حقا؟

الأبـــيـــض : بلى، ولو لدرجة ما .

(تقترب الأقدام. يدخل رجل متين البنيان، قوى بصورة واضحة، يرتدى قميصا أسود وبنطلونا أسود وبيده سوط. رغم قوته وشباب ملامحه فإنه لا توجد شعرة سوداء واحدة فى رأسه الأبيض.

تنحى الشابان جانبا وهما ينظران إليه فى حذر. أما هو فوقف منتصب القامة ناظرا فيما أمامه نظرة مجردة بعيدة المرمى وهو يحرك قدميه (محلك سر) طيلة الوقت).

الأحمر : أرأيت؟

الأبيض : نعم.

الأحمر : نذهب إلى مكان آخر؟

الأبيض : فلنلعب إن تكن لك رغبة فى اللعب حقا.

الأحمر : تحت عينيه؟

الأبيض : ولم لا؟

الأحمر : **(ملَاحظا الرجل)** إنه لا يكف عن الحركة رغم أنه لا يبرح مكانه.

الأبيض : المهم ألا يتدخل فى شئوننا.

الأحمر : ولكنه يتبعنا أينما سرنا.

الأبيض : لا يعد ذلك تدخلا فى شئوننا.

(صمت)

الأبيض : فلنلعب «وطى البصلة».

الأحمر : **(يهز منكبيه استهانة)** فليكن، «وطى».

الأبيض : وطى أنت أولا.

الأحمر : بل أنت الأول.

الأبيض : لا تكن أنانيا.

الأحـــمـــر : لا هم لك إلا المعارضة.

الأبـــيـــض : وأنت تتصرف كأن لا وجود لأحد معك.

الأحـــمـــر : لاعبنى «برادى فير» والمغلوب يوطى.

(الأحمـر ينطرح على بطنه ويركز ذراعه على كـوعه ناظرا إلى الأبيض فى تحـد فيـضطر هذا إلى أن يفـعل مثله، يتـصارعـان، الأحمر يميل ذراع الأبيض حتى يلصقها بالأرض..).

الأحـــمـــر : (صـائحا بفـرح) غلبت.... لم يوجـد بعد الذى يستطيع أن يغلبنى (تلوح منـه نظرة نحو الرجل القـوى المتـحرك فـيبـوخ حمـاسه نوعا) لـم يوجد بعد.. (الأبيض ينهض مـستـسلما، يوطى واضعـا يديه على ركبـتيـه. الأحمر يتـراجع مسـافة ثم يجرى نحـو الآخر ويثب من فوقـه معتـمدا بيـديه على ظهره المنحنى، ثم يوطى بدوره فيثب الأبيض من فوقه، هكذا تستمر اللعبـة حتى يتعثـر الأبيض وهو يثب فيرتطم بالآخر ويـقعان معـا، ويغرقان فى الضـحك. يقفان وهمـا يضحكان. ويكف الأبيض عن الضـحك ويواصله الأحـمر. الأبـيض يشيـر إلى صاحبه بالسكون وهو يرهف السـمع، ثم يتراجع به بعيدا عن الرجل).

الأبـــيـــض : يخيل إلىّ أنه طالبنا بالكف عن اللعب.

الأحـــمـــر : لم أسمع شيئا.

الأبـــيـــض : ولكنى سمعته.

الأحـــمـــر : سمعى أقوى من سمعك.

الأبـــيـــض : ولكنك كنت تضحك.

الأحـــمـــر : (غاضبا) أرى أن نوقفه عند حده..

الأبـــيـــض : يحسن بنا أن نتجاهله..

الأحـــمـــر : بأى حق يتدخل فى حريتنا؟

(صمت)

الأحـــمـــر : وكلما سكتنا زاد فى غيه.

الأبـــيـــض : تذكر أنه كان صديقا لوالدنا!

الأحـــمـــر : لا نستطيع أن نحكم، كنا وقتها صغارا.

الأبـــيـــض : ولكنه لم يكف عن زيارته حتى آخر يوم فى حياته..

الأحـــمـــر : لعله كان يتدخل فى شئونه كما يريد أن يفعل معنا؟

الأبـــيـــض : لا يبدو أنه شرير..

الأحـــمـــر : ولكن غير بعيد أن يكون به لطف!

الأبـــيـــض : لعل متابعته لنا حيثما نذهب نوع من الرعاية بحكم صلته القديمة بوالدنا؟

الأحـــمـــر : أنت عبيط، ولعله كان ضمن الأشياء التى نغصت صفو أبينا فى أواخر أيامه..

الأبـــيـــض : ولكن والدنا لم يذكره بسوء.

الأحـــمـــر : كنا صغارا لا نفقه لما يقال معنى..

الأبـــيـــض : لم يكن لوالدنا أعداء.

الأحـــمـــر : من أدرانا بحقائق ذلك الزمن؟

(صمت)

الأحـــمـــر : لماذا يطاردنا؟

الأبـــيـــض : إن صح أنه يطاردنا حقا فلماذا يطاردنا؟

الأحـــمـــر : انظر إلى حركته المستمرة، إنه مجنون..

الأبـــيـــض : لا تتسرع فى الحكم..

الأحـــمـــر : هل يقبل عاقل أن يقف كما يقف ويحرك ساقيه كما يحركهما؟

الأبـــيـــض : بعض الناس لا يطيقون السكون . .

الأحـــمـــر : ترى ما مهنته؟

الأبـــيـــض : إنه قوى ، خالى البال ، فلعله من الأعيان .

الأحـــمـــر : دعنا نناقشه جهارا .

الأبـــيـــض : كلا ، مظهره لا يشجع على المناقشة . .

الأحـــمـــر : دعنى أسأله بضعة أسئلة . .

الأبـــيـــض : مثل ماذا؟

الأحـــمـــر : لماذا يطاردنا؟

الأبـــيـــض : لن يعترف بذلك ، ولا دليل عليه . .

الأحـــمـــر : ألم تسمعه وهو يطالبنا بالكف عن اللعب؟

الأبـــيـــض : حتى ذلك غير مؤكد .

(صمت)

الأبـــيـــض : خير ما نفعل أن نتجاهله . .

الأحـــمـــر : لا أستطيع . .

الأبـــيـــض : لولا عصبيتك . . .

الأحـــمـــر : (مقاطعا) دائما ترمينى بعجزك . .

الأبـــيـــض : لا حد لمكابرتك . .

الأحـــمـــر : أحيانا أود أن أدق عنقك .

الأبـــيـــض : سأضيق بك يوما فأهجرك . .

(يتواجهان فى غضب. الرجل يضرب الهواء بسوطه فيحدث طرقعة شديدة.. يدب الخوف فى قلبيهما. ينسيان خلافهما الطارئ. يغادران المكان. الرجل يقف وقفته وهو يحرك ساقيه (محلك سر).. المكان يظلم..).

* * *

٢

(يضاء المسرح. نفس المسرح الخالى. يقف الأحمر والأبيض متواجهين. لقد تغيرا تغيرا ملحوظا. ارتدى كل منهما جاكتة من لون القميص وحذاء جلديا وأصبح لكل شارب صغير يتبادلان النظر فى ارتياح).

الأحمر : هيهات أن يتعرف علينا الآن.

الأبيض : تغيرنا لدرجة لا بأس بها.

الأحمر : ولكنها كافية لتضليله . .

الأبيض : هذا هو المأمول.

الأحمر : لا تبدو واثقا ولا مطمئنا.

الأبيض : يخيل إلىّ أحيانا أن التغير سطحى.

الأحمر : أنت مولع دائما بالتهوين من مهارتى.

الأبيض : أبدا، استعدادى طيب للاعتراف بمواهبك . .

الأحمر : إذن فلماذا تبدو مرتابا؟

الأبيض : أخشى ألا يخدعه مظهرنا الجديد.

الأحمر : لن يصل إلى حقيقتنا الكامنة وراء الشارب والجاكتة والحذاء.

الأبيض : عظيم، هذا هو المأمول . .

الأحمر : نحن الآن موظفان من قوة الدولة!

الأبيض : هذا صحيح و . . .

(يصمت فجأة متنصتا. الآخر يتنصت أيضًا)

الأبـــيـــض : وقع أقدام . .

الأحـــمـــر : لا أظن .

الأبـــيـــض : إنه قادم . .

الأحـــمـــر : لعله عابر سبيل مجهول .

الأبـــيـــض : بت أعرف إيقاع قدميه . .

الأحـــمـــر : لا تدّع امتلاك الحكمة كلها .

(يصبح وقع الأقدام مسموعا. يدخل الرجل بنفس الصورة التى ظهر بها أول مرة، ولكنه لا يقف إنما يمضى ذهابا وجيئة فى بطء ملحوظ بعرض المسرح وفى عمقه. الشابان ينظران نحوه بذهول. يتنحيان جانبا بعيدا عن مسمعه).

الأبـــيـــض : أرأيت؟

الأحـــمـــر : مهلا . . أرجح أنه لم يتعرف علينا .

الأبـــيـــض : أتؤمن بذلك حقا؟ !

الأحـــمـــر : لعل الذى يجمعنا هو الطريق والمصادفة ولا شىء سواهما . .

الأبـــيـــض : لا بأس من أن نسلم بذلك . .

الأحـــمـــر : فلنتجاهله ولنمارس عملنا فى هدوء وسكينة . .

(يرجعان إلى وسط المسرح، يتظاهران بالانهماك)

الأحـــمـــر : **(بنبرة عظمة)** حررت استمارات الصرف؟

الأبـــيـــض : لم تبق إلا واحدة .

الأحـــمـــر : أسرع من فضلك لتتم مراجعتها اليوم .

الأبـــيـــض : على أى حال فالخزانة لا تغلق قبل منتصف النهار .

الأحـــمـــر : لا يجوز تأجيل عمل اليوم إلى غد .

الأبـــيـــض : ألا ترى أنه يجب مراجعة ميزانية المصروفات؟

الأحمر : أعلم أنها تسمح بالصرف حتى نهاية العام المالى . .

الأبيض : إذن يحسن أن أكتب المذكرة .

(صمت)

الأحمر : هل لك علاوة هذا العام؟

الأبيض : كلا وأنت؟

الأحمر : أستحق علاوة هذا العام .

الأبيض : مبارك .

الأحمر : ستغرق فى خضم أعباء المعيشة .

(الأبيض يتنصت فجأة وهو يمد أذنه نحو الرجل المتحرك، ثم يأخذ الآخر من يده بعيدا عن مسمعه).

الأبيض : أسمعت؟

الأحمر : كلا .

الأبيض : عاد يطالبنا بالكف عن اللعب . .

الأحمر : متأكد؟ !

الأبيض : بلا أدنى شك .

الأحمر : اللعنة . .

الأبيض : من السهل خداعه .

الأحمر : ماذا يريد منا؟

الأبيض : الله أعلم .

الأحمر : واضح أننا لا نلعب .

الأبيض : واضح جدا .

الأحمر : أيظن أنه ولى أمرنا؟

(الأحمر يغضب. يأخذ الأبيض من يده ويذهبان إلى وسط المسرح. الأحمر ينظر نحو الرجل المتحرك متحديا).

الأحـــمــــر : هل تخاطبنا يا حضرة؟

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحـــمــــر : يجب أن تتكلم . .

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحـــمــــر : نحن موظفان محترمان، ولا نقبل إلا المعاملة اللائقة بكرامة الدولة . .

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأبــيــض : هل لك حاجة فى المصلحة؟

الأحـــمــــر : عليه أولا أن يجيب . .

الأبــيــض : هل لك طلب؟ . . شكوى؟ . . أموال متأخرة؟

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحـــمــــر : كيف دخلت الإدارة؟ . . أمعك بطاقة شخصية؟

الأبــيــض : نحن فى خدمة الجمهور . .

الأحـــمــــر :(ثائرا) كف عن حركتك اللعينة فقد أدرت رءوسنا!

الأبــيــض : وتذكر أن الخزانة تغلق فى تمام الثانية عشرة .

الأحـــمــــر : لو رآك المدير وهو ذاهب إلى دورة المياه فلن تحمد العواقب . .

الأبــيــض : ما زلت أقول إننا فى خدمة الجمهور .

الأحـــمــــر : يا ويلك من رجال أمن الوزارة لو رأوك!

الأبــيــض : ماذا جاء بك يا سيدى؟

الأحـــمــــر : طبعا عندك فكرة عن العقوبة التى ينالها من يعتدى على موظف فى أثناء قيامه بأعمال وظيفته؟

الأبــيــض : هل تضايقك بعض الشكليات السخيفة؟

الأحـــمــــر : أنت أدرى بما يضايقك، ومن حقك أن تشكو، ولكن لكل إجراء نظمه المتبعة الواجبة الاحترام .

الأبيض : وحتى إذا احتاج الأمر إلى رعاية خاصة أو وساطة لها وزنها فستجد عندنا ما يحقق رغباتك المشروعة .

الأحمر : عليك أولا أن تكف عن الحركة وأن تتفاهم كما يجدر بالناس الطيبين .

(الرجل يواصل حركته وفجأة يضرب الهواء بسوطه فيحدث فرقعة شديدة.. يتراجع الشابان فى خوف).

الأحمر : (بلهوجة) أذن موعد الانصراف .

الأبيض : هيا بنا إلى معركة المواصلات .

(يغادران المكان بسرعة، وفى خوف لم يفلحا فى إخفائه. يستمر الرجل فى حركته. يظلم المسرح).

٣

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض متواجهان بنفس الحال التى رأيناهما عليها، عدا الشارب الذى امتد ونما فأضفى عليهما مظهر رجولة لم تجاوز حدود الشباب).

الأحمر : أليست فكرة بارعة؟

الأبيض : وطبيعية، وتهيئ لنا استقرارا .

الأحمر : الزواج هناء، ومصاهرة تقوى مركزنا وسواعدنا، وفى إطار الصورة الجديدة لن يتعرف علينا .

الأبيض : هو خير من العزوبة على أى حال .

الأحمر : (فى عصبية) لا أراك متحمسا .

الأبيض : بل إنى مرحب جدا بالفكرة .

الأحـــمـــر : لا أرى أثرا للحماس فى وجهك .
الأبـــيـــض : الزواج فكرة طيبة ولكن هل يغيرنا للدرجة التى تضلله عنا؟
الأحـــمـــر : أعتقد ذلك .
الأبـــيـــض : فلنجرب والله معنا .
الأحـــمـــر : أظن يكفينا زوجة واحدة؟
الأبـــيـــض : فكرة مبتكرة .
الأحـــمـــر : واقتصادية ، ولكنى أخشى قيام نزاع يهدد كل شىء .
الأبـــيـــض : (باسما) طالما واجهنا الحياة كشخص واحد .
الأحـــمـــر : كثيرا ما نختلف ونتخاصم .
الأبـــيـــض : ولكن شيئا لم يستطع أن يقضى على الرابطة التى تجمعنا .

(صمت)

الأحـــمـــر : وقع اختيارى على زوجة ممتازة ولكن هل تتفق أذواقنا؟
الأبـــيـــض : بيننا تقارب لا شك فيه ولا تنس تسامحى .

(صمت)

الأحـــمـــر : إنى أحب اللون الخمرى .
الأبـــيـــض : اللون الأبيض لا يُعلى عليه .
الأحـــمـــر : بدأ الخلاف .
الأبـــيـــض : (بسرعة) ومع ذلك فجميع الألوان واحدة .
الأحـــمـــر : وأحب العود الممتلئ .
الأبـــيـــض : نحن فى عصر الرشاقة .
الأحـــمـــر : لا أتصور ذلك أبدا .
الأبـــيـــض : ليكن . . ليكن . . بشرط ألا يزيد وزنها بعد المعاشرة .

الأحمر : بل لا بأس من أن يزيد وأن تمتلئ المواقع التى يريد الله لها أن تمتلئ.

الأبيض : (متنهدا) لتكن إرادة الله.

الأحمر : ورأيت من الحكمة أن تكون ذات مال ولو فى الحدود المعقولة.

الأبيض : يا له من تفكير تجارى!

الأحمر : أنت جاهل بالدور الذى يلعبه المال فى الحضارة!

الأبيض : ليكن ما تريد، لا تغضب.

الأحمر : ولا أقبل بحال أن تكون كاملة التعليم، حسبها التعليم الابتدائى، فالعلم زينة غير مقبولة للمرأة وهو يغريها دائما بالعمل الذى يحولها فى النهاية إلى رجل.

الأبيض : رأيك هذا كان رأيا عصريا فى العصر الحجرى.

الأحمر : أنا لا يخيفنى التعبير بالعصور القديمة.

الأبيض : ما دمنا نرغب فى أن نكون ثلاثة فأكثر، وما دام ذلك فى صالحنا وضمانا لأمننا المهدد، فلا يعنى إلا القبول.

الأحمر : وطالبت بأن تكون لعوبا فى نطاق الشرع!

الأبيض : المرأة اللعوب لا يسعها إلا أن تكون لعوبا سواء فى نطاق الشرع أو خارجه.

الأحمر : بل فى نطاق الشرع وحده وسوف ترى.

الأبيض : فلنجرب على أى حال.

(صمت)

الأحمر : هل لك مواصفات أخرى؟

الأبيض : مواصفات هامشية ولكنها لا تخلو من فائدة، مثل البراعة فى الحديث.

الأحـــمــــر : لا أهمية لذلك، أنا أعرف زوجا سعيدا، ترجع سعادته أولا إلى كون زوجته خرساء.

الأبـــيـــض : ويا حبذا لو كانت تجيد الغناء!

الأحـــمــــر : لا أهمـيـة لذلك أيضـا فلدينا الكفـاية فى الإذاعـة والتليفزيون.

(صمت)

الأحـــمــــر : هل من مواصفات أخرى؟

الأبـــيـــض : كلا.

الأحـــمــــر : أعتبر اتفاقنا كاملا؟

(الأحـمر ينظر إلى الجـانب الأيمن من المسـرح ويزغرد. تسـمع موسيقى زفة العروس.

تدخل العـروس وهى تسـير بين شـيخ وشـرطى. يقـفون أمـام الشـابين ثم يسـتديـر الرجلان ويذهبـان. تتبـادل النظرات بين العروس وبين الشابين).

الأحـــمــــر : أهلا بك يا عروس.

الـعـــــروس : (فى حياء) أهلا بك.

الأبـــيـــض : فلتحل بحلولك النعمة والهناء.

الـعـــــروس : آمين.

(يقبلانها فى وقت واحد، كل فى خد)

الـعـــــروس : (بحيرة) توقعت قبلة واحدة!

الأبـــيـــض : سيتكرر ذلك كثيرا.

الأحـــمــــر : وعلى كل موقع مختار!

(ذهول من العروس وضحك من الشابين)

الـزوجـــــة : (فى حيرة أكثر) إنى أتزوج لأول مرة فمعذرة.

الأحمر والأبيض معا : ونحن كذلك!

الـزوجـــــة : نحن؟!

الأبـــيـــض : نعم .

الأحـــمـــر : لسنا من أنصار تعدد الزوجات .

الـعـــروس : ولكن .

الأحـــمـــر : أنت الزوجة ونحن الزوج .

الـعـــروس : معا؟

الأحـــمـــر : نعم .

الـعـــروس : ولكنكما اثنان .

الأبـــيـــض : اعتبرينا شخصا واحدا .

الـعـــروس : لا أفهم شيئا .

الأحـــمـــر : ثمة أمور لا تفهم إلا بعد ممارسة الحياة الزوجية بالفعل .

الـعـــروس : لم يكن ذلك ضمن المعلومات التى زودتنى بها أمى .

الأحـــمـــر : طيبة منها ولا شك .

الـعـــروس : وكيف تستقيم المعيشة معكما معا؟

الأحـــمـــر : ستعلمين ذلك فى حينه .

الـعـــروس : أليست حالا غير طبيعية؟

الأحـــمـــر : هذا ما جرت به الطبيعة منذ الأزل .

الـعـــروس : قيل لى إن التوفيق مع زوج واحد أمر ليس بالهين فكيف يتيسر مع اثنين؟

الأبـــيـــض : هو غير هين لذلك وليس لسبب آخر .

الأحـــمـــر : ستتعلمين كل شىء فى حينه . . تعالى .

(ينهالان عليها قبلا وأحضانا وهى مرتبكة)

الـعـــروس : ستوجد مشاكل؟

الأحمر : مشاكل؟

العروس : (فى حياء) من سيكون أبا الوليد؟

الأبيض : سيحمل اسم من يسجله فى المكتب المدنى .

العروس : ولكن ذلك شىء عرضى جدا .

الأبيض : الأسماء كلها عرضية .

العروس : أعجب ما سمعت فى حياتى!

الأحمر : هكذا سيبدو لك كل شىء .

العروس : لم أسمع بذلك مَن قبل .

الأحمر : ولذلك فإنى من أنصار تعليم الجنس فى المدارس!

(صمت)

(يترامى وقع أقدام. يخرجون بعنف من جو الموقف ويرهفون السمع)

الأحمر : غير معقول .

الأبيض : (متنهدا) لم أكن مغاليا .

العروس : من القادم؟

الأحمر : (للأبيض) : ولكن . . هيهات أن يعرفنا!

الأبيض : فليحقق الله ظنك .

العروس : أتتوقعان قدوم أحد؟

الأحمر : كلا .

العروس : فمن القادم؟

(صمت مع إرهاف السمع)

(يدخل الرجل بصورته الثابتة، ويمضى ذهابا وإيابا فى حركة أسرع قليلا مما كانت عليه فى المنظر السابق.

الأحمر والأبيض والعروس يتراجعون بعيدا عن مسمعه).

الأحمر : قلبى يحدثنى بأنه لم يعرفنا .

الأبيض : طالما منينا أنفسنا بذلك .

العروس : (بضيق واضح) ماذا جاء به إلى هنا؟

الأحمر : (للعروس) أرأيته من قبل؟

العروس : أكثر من مرة!

الأحمر : أنت أيضا؟!

العروس : وأنتما؟ . . أليس كذلك؟!

الأبيض : لعله من سكان الحى!

الأحمر : أكاد أوقن بجنونه .

العروس : كان من المترددين على أبى .

الأحمر : أيضا!

العروس : ظننته سينقطع عن الظهور عندما أصير فى عصمة رجل ولكنه مصر رغم أننى صرت فى عصمة رجلين!

الأحمر : لا داعى للتشاؤم فلعله لم يعرفنا .

الأبيض : لعله!

العروس : رباه . . ما أشد قلقى . . ماذا يجدر بنا أن نفعل؟

(صمت)

الأحمر : فلنتجاهله . . ولنغن احتفالا بحياتنا الزوجية .

(يرجع الأحمر بهما إلى موقفهما السابق وسط المسرح ثم يغنون):

بشرى لنا نلنا المنى

زال العنا وافى الهنا

(الأبيض يرهف السمع باهتمام واضح)

الأبيض : (للأحمر) عاد يتكلم .

الأحمر : (منفعلا) ماذا قال؟

الأبيض : كالعادة.

الأحمر : (مخاطبا الرجل) ماذا تريد؟

الأبيض : (للرجل) سيدى.. لم تضيع وقتك هدرا؟!

الأحمر : (للرجل وحدته ترتفع) هل تغرك قوتك؟ هل تستند إلى أحد من ذوى الشأن؟ إذن فاعلم أننا أصهرنا إلى واحد منهم هو والد هذه الزوجة الكريمة، وقد أصبحنا ثلاثة تؤيدهم حلقة متينة من العائلات الأصيلة.

الأبيض : (للرجل) أخى شاب ذو حدة، ولكننا فى النهاية من صلب الرجل الطيب الذى كان صديقا لك.

الأحمر : (مستسلما للحدة) : لم أعد أطيق هذا التدخل السخيف!

العروس : ولا أنا.

الأبيض : (للرجل) ماذا تريد يا سيدى؟ كأنه لا يروق لك شيء مما نفعله، فماذا تريدنا على أن نفعل؟

الأحمر : (للرجل) تكلم.. يجب أن تتكلم.

العروس : (للرجل أيضا) احترم الحياة الزوجية المقدسة.

الأبيض : نحن ندعوك لحفل زفافنا، ما رأيك؟

(صمت)

الأحمر : (موجها خطابه للزوجة والأبيض) لا فائدة!

العروس : يا للأسف!

الأبيض : (وهو يتنهد بصوت مسموع) أصبح لنا أسرة على أى حال!

(الرجل وهو يواصل حركته ذهابا وإيابا يضرب بسوطه

الهواء فتسمع طرقعة شديدة.. يتراجعون بعيدا عنه فى ذعر واضح).

العروس : لا أطيق ذلك.

الأحمر : ولا أنا.

الأبيض : لنبدأ رحلة شهر العسل!

الأحمر : لنبدأها فورا.

العروس : هيا.. هيا.

الأحمر : سيسقط يوما من الإعياء جثة هامدة.

العروس : آمين.

(يتأبط كل منهما ذراعا لها ويغادرون المكان وهم يسترقون النظر إليه فى حذر. يواصل الرجل حركته على حين يظلم المسرح).

٤

(يضاء المسرح. الأبيض والأحمر بنفس الملابس ومعهما الزوجة. واضح أن العمر قد تقدم بهم فجرى المشيب فى رءوسهم وذبلت نضارتهم، أصبحوا كهلين وسيدة).

الزوجة : مهما يكن من متاعبكم فلا يجوز أن ننسى الأبناء!

(الرجلان يتبادلان نظرات عميقة وكأنهما لم يسمعا صوت الزوجة).

الأحمر : إذا طارت درجة المدير العام هذه المرة فقل عليها السلام.

الأبيض : ما زالت اجتماعات اللجنة مستمرة!

الأحمر : ككل مرة، ثم يرقى شخص مجهول لا يخطر ببال أحد.

الأبيض : هل تطيق الصحة أعباء جديدة يا عزيزى؟

الأحمر : لا شىء يهمك حتى الأعماق، أبدا، هل فكرت فى تحسين المعاش كما ينبغى لرجل مسئول؟!

الزوجة : المعاش فى النهاية أهم من المرتب نفسه!

الأحمر : كررى ذلك على مسامعه!

الأبيض : إنى أود الترقية أيضا ولكنى أكره حرق الدم.

الأحمر : سرعان ما تضيق بأى شىء.

الأبيض : فليهتم بالمعاش من لن يملكوا سواه، أما أنت فإن نشاطك الحر أضعاف نشاطك الرسمى.

الأحمر : لولا ذلك ما توافرت لنا الحياة التى ننعم بها.

الأبيض : غرقنا فى العمل طيلة عمر، للدولة ولأنفسنا، بت أتطلع لحياة أخرى، لشىء من الهدوء والراحة.

الأحمر : عما قريب ستشبع من الهدوء والراحة وتبكى الأيام الخالية.

الأبيض : لا أظن.

الزوجة : كفا عن النزاع، ولندع الله أن يهبنا القوة والصحة، ولكن فكرا قليلا فى الأبناء.

الأحمر : (للأبيض) أنت مثبط للهمم.

الأبيض : كلا، لى طموح بعيد أيضا.

الأحمر : لا أعترف به.

الأبيض : تلزمنا فترة تأمل عقب الجنون المحتدم.

الأحمر : من أين لنا بها؟ ثلاثة اجتماعات فى اليوم، ورابع فى

المساء مع سمسار من السوق الحرة، وعلينا بعد ذلك أن نقيم وليمة عشاء للعملاء . .

الزوجة : ستكون وليمة يشهد لها العدو قبل الصديق . .

الأبيض : (للأحمر) ولكن ألا ترى أن وظيفة المدير العام ستلتهم وقتنا الضيق؟

الأحمر : كلا، فهى من ناحية أخرى تذلل كثيرا من الصعاب . .

الأبيض : لا تنس أمراضك المزمنة .

الأحمر : إنى مسيطر عليها تماما . .

الزوجة : نسأل الله السلامة . .

الأحمر : (للزوجة) لن أنسى أفضالك فأنت ممرضة ماهرة!

الأبيض : هى نفسها لا تخلو من أمراض مزمنة . .

الأحمر : هذا يدعونا إلى مضاعفة النشاط .

الزوجة : والأبناء؟

الأحمر : (فى ضيق) الأبناء . . الأبناء . . لا حكاية لك إلا الأبناء، وحكايتهم لا تسر الخاطر . .

الزوجة : ولكنها جديرة بكل اهتمام وعناية . .

الأحمر : اللعنة . . إنهم أعقد من درجة المدير العام .

الزوجة : (للأبيض) قل شيئا . .

الأبيض : فى ذلك المجال فإنى أفعل أكثر مما أتكلم .

الزوجة : (متأوهة) حسادنا كثيرون على حين أننا تعساء .

الأحمر : (غاضبا) كفى عن الولولة!

الزوجة : (غاضبة أيضا) أنت رجل أنانى . .

(يخرصهم السكوت فجأة فيرهفون السمع فى قلق واضح).

الأحمر : كلا . . لا شىء . .

الزوجـــة : ماذا هناك؟
الأحــمــر : خيل إلىّ . .
الزوجـــة : يا رحمن يا رحيم .
الأبــيــض : ليست المرة الأولى .
الأحــمــر : ماذا تعنى؟
الأبــيــض : سمعنا الأقدام مرات ولكن الرجل لم يظهر ، منذ مدة لم يظهر .
الأحــمــر : بل كدنا ننساه تماما .
الزوجـــة : ليس تماما .
الأبــيــض : ولكنه كثير ما يسمعنا وقع أقدامه . .
الأحــمــر : مجرد ظنون .
الزوجـــة : لعله مات . .
الأبــيــض : مات؟!
الزوجـــة : وإلا ما اختفى طيلة تلك المدة . .
الأبــيــض : لكنه لم يختف تماما . .
الأحــمــر : أقسم أننى كدت أنساه . .

(وقع الأقدام يسمع بوضوح. ينصتون بقلق واضح..).

الأحــمــر : ليتنا ما ذكرناه . .
الزوجـــة : ليتنا . .
الأبــيــض : ولكن لا حيلة لنا فى ذلك .
الأحــمــر : لا تنقصنا الهموم . .
الزوجـــة : وكل الهموم تهون بالقياس لهمه . .
الأبــيــض : ونحن نخلق من الهموم ما يكفى .
الأحــمــر : (للأبيض فى غيظ وحنق) يخيل إلىّ أحيانا أنك حليفه علينا!

الأبيض : ليتك تزداد مع العمر حكمة . .

الأحمر : الإعجاز أن نزداد مع العمر حماقة!

الأبيض : أشهد أن ذلك الإعجاز لا ينقصنا!

الأحمر : ما زلنا شبابا .

الأبيض : ظننت أن الشباب قد ولى . .

الأحمر : (مشيرا إلى قلبه) الشباب هنا وليس فى مكان آخر .

الزوجة : ما زلنا شبابا!

الأبيض : إذن فعليكم ألا تهتموا بمطاردة الرجل لنا .

الأحمر : ولكنى لا أرتاح إليه .

الزوجة : وأما أنا فإنى أمقته . . ويخيل إلىّ أنه سيقتلنا يوما ما .

الأبيض : نحن نقتل أنفسنا أيضا . .

الأحمر : لقد حققنا أعمالا مجيدة .

الزوجة : أعمال غير قابلة للموت .

الأبيض : لا يجوز أن نخشى الموت أكثر مما ينبغى .

الأحمر : كلام فارغ، أنت أول من يخاف الموت .

الزوجة : كيف لا نخشى الموت؟!

الأبيض : لا يبعد أن يكون آخر مغامرة فى الحياة . .

الأحمر : لا تتعلق بالأوهام . .

(وقع الأقدام يشتد. يدخل الرجل. منظره لم يتغير. يمضى فى حركته ذهابا وإيابا بسرعة أكبر مما كانت عليه فى المنظر السابق. يتابعونه بذهول. يتراجعون بعيدا عن مسمعه).

الأحمر : قلبى يحدثنى بأنه لم يعرفنا .

الأبيض : لا تتعلق بالأوهام!

الزوجة : إنه يزداد سرعة!

الأحـــمـــر : ذلك يعنى أنه يزداد جنونا .

الأبـــيـــض : ترى ما معنى ذلك؟

الأحـــمـــر : لا تحمل الأمور أكثر مما تعنى . .

الـزوجـــة : (فى عصبية) ما له يسرع هكذا!

الأحـــمـــر : علينا أن نفزعه . .

الـزوجـــة : كيف؟

الأحـــمـــر : (غامزا بعينه) فلنمثل دورنا بإتقان . .

: **(يرجع بهما إلى المكان الأول وهو يتظاهر بالثقة والعظمة..).**

الأحـــمـــر : (للأبيض) هل أضفت الأموال إلى حسابنا الجارى؟

الأبـــيـــض : نعم .

الأحـــمـــر : عظيم . . لا يجوز أن نترك مليما بلا استثمار .

الـزوجـــة : عين الصواب .

الأحـــمـــر : سأقابل غدا بعض كبار المسئولين .

الـزوجـــة : لعلهم ضمن المدعوين إلى مأدبة العشاء؟

الأحـــمـــر : كلا ، ستكون الوليمة قاصرة على الوزراء!

الـزوجـــة : ولا تنس السفراء يا عزيزى .

الأحـــمـــر : ذلك ما لا يمكن نسيانه .

الـزوجـــة : سيتم كل شىء على خير وجه قبل أن تسافر إلى الخارج .

الأحـــمـــر : **(وهو يضحك عاليا) طبعا.. طبعا..**

(الأبيض يرهف السمع باهتمام وقلق، يتجه نحو الأحمر).

الأبـــيـــض : تكلم مرة أخرى كالعادة!

الأحـــمـــر : أنت وحدك تسمع رغم أنك أضعفنا سمعا!

الأبـــيـــض : عليك أن تصدقنى . .

الأحمر : (للرجل وهو يتقد غضبا) ماذا تريد؟

الزوجة : (للرجل) ماذا جاء بك إلى بيتنا؟

الأحمر : (») نحن نطالبك بالأدب واللياقة.

الأبيض : (») لم يعد يمكن أن يقال إننا نبدد وقتنا فى اللعب!

الأحمر : (») وماذا يهمك من سلوكنا؟

الزوجة : (») ألا تخاف على أعصابك وأنت تجرى بهذه السرعة؟

الأحمر : (») يوجد قانون وتقاليد.

الزوجة : (») صن صحتك من أجل خاطر أولادك، أليس لك أبناء؟

الأبيض : (للرجل) ليتك تصارحنا بما تريد.

الأحمر : (») إنى أحذرك عواقب الاستهتار.

الأبيض : (») المصارحة مفيدة للطرفين.

الأحمر : (للأبيض) لا تلاينه فإنه لا يزداد بالملاينة إلا عتوا.

الزوجة : (للأحمر متوسلة) دعه يجرى!

(يتراجع الأحمر والزوجة تاركين الأبيض يجرب حظه..).

الأبيض : علاقتك القديمة بوالدنا لا يمكن أن تنسى..

(الرجل يواصل حركته وكأنه لا يسمع شيئا).

الأبيض : إنك لا تدرى مدى الإزعاج الذى تسببه لنا بحسن نية.

(الرجل يواصل حركته وكأنه... إلخ)

الأبيض : أأنت مكلف بمهمة؟ ما هى؟ من كلفك بها؟. صارحنا وأعدك بالمساعدة!

(الرجل يواصل.. إلخ)

الأبيض : لا تسىء بنا الظن، لنا أخطاء بلا شك، ولكن أعمالنا لا تخلو من قيمة.. وخيرنا أكثر من شرنا..

(الرجل يواصل.. إلخ)

الأبيض : صارحنا بما فى نفسك وإلا فمن العدل أن تتركنا وشأننا . .

(صمت مع استمرار الرجل فى حركته)

الزوجة : (لنفسها) الكلام الطيب لا يؤثر فيه .

الزوجة : (للرجل بصوت مرتفع منفعل) هذه أرضنا، لنا فيها أبناء وأموال وأعمال، فليس من الإنصاف أن تزعجنا على هذا النحو . .

الأحمر : (بنبرة تهديد) لا فائدة، ولا مفر من اللجوء إلى المسئولين . .

(الرجل مستمر فى حركته على حين ينضم الأحمر والزوجة إلى الأبيض).

الأحمر : (بنفس النبرة المهددة) قوى شر كثيرة تعترض مجرى الحياة، مستهترة بالقوانين والتقاليد، ولكن كيف تكون عاقبتها ولو على المدى البعيد؟ تغلب على أمرها، ويحق عليها الجزاء والقهر، هذه هى سنة الحياة وإلا حق عليها الفناء . .

(الرجل وهو مستمر يضرب الهواء بسوطه فيحدث طرقعة رهيبة فينكمش الثلاثة، ثم يرون من الأوفق أن يغادروا المكان فيغادروه متعثرين. الرجل مستمر والظلام يهبط . .).

٥

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض والزوجة وقد طعنوا فى السن وركبتهم الشيخوخة. الأحمر يرتدى عباءة حمراء وطاقية حمراء، والأبيض عباءة بيضاء وطاقية بيضاء، أما الزوجة فترتدى روبا يجمع بين اللونين. يتحركون حركات تنم عن الضعف والشيخوخة).

الأحمر : آه .

الأبيض : آه .

الزوجة : آه .

(صمت)

الزوجة : الحمد لله على أى حال .

الأبيض : له الحمد والشكر .

الأحمر : اللهم احفظنا .

(صمت)

الأبيض : (مرهفا السمع) هل تسمعان وقع أقدام؟

الأحمر : ثقل السمع !

الزوجة : إنى أسمعها عن غير طريق الأذن !

(صمت)

الزوجة : أتذكران عندما كنا أطفالا؟

الأحمر : ولكننا عرفناك بعد مرحلة الطفولة !

الأبيض : (فى حنان) عندما كنا أطفالا !

الـزوجـــــة : (متنهدة) عندما كنا أطفالا!

(صمت)

الـزوجـــــة : كأنه الأمس.

الأبــيـــض : كأنه الأمس.

الأحـــمـــر : كأنه.. كأنه.. كأنه.. عليكم اللعنة!

(صمت)

الـزوجـــــة : الأيام الحلوة.

الأبــيـــض : والأحلام الحلوة.

الأحـــمـــر : كنا نبول على أنفسنا وها نحن نبول على أنفسنا مرة أخرى!

(صمت)

الأبــيـــض : (مرهفا السمع) هل...

الأحـــمـــر : (مقاطعا) تسمعان وقع أقدام؟

الـزوجـــــة : إنها تدب بلا انقطاع.

الأبــيـــض : أعتقد أننا ألفناها.

الأحـــمـــر : أعتقد أنك مزعج مثله.

الـزوجـــــة : لا داعى للخلاف الآن.

(صمت)

الأحـــمـــر : فاتتنا فرص عظيمة ولكننا قمنا بأعمال تستحق الذكر.

الـزوجـــــة : نحمده على ما نلنا ونستعيضه عما فاتنا.

الأبــيـــض : نحمده.

(صمت)

الأحـــمـــر : ترى هل أخطأنا فى توظيف أموالنا؟

الـزوجـــــة : العمارات أثبت من السوق المتقلبة!

الأبيض : سبحان من له الدوام .

الأحمر : وفكرة البيع الصورى للأبناء رائعة من ناحية الضرائب!

الأبيض : هى أروع فكرة قانونية للخروج عن القانون .

الأحمر : (غاضبا) أنت عنيد وأحمق .

الأبيض : دائما لا تعجبك الحقيقة .

الزوجة : لا تضاعف من مخاوفنا .

الأحمر : (ساخرا) الابن الوحيد الذى يحمل اسمك ضاع ، إخوته رجال أعمال يفخر بهم الوطن أما هو فماذا يعمل؟ . . ملحِّن ، ملحِّن . . ها . . ها .

الأبيض : لا يقل عن إخوته شأنا ولا يتطلع مثلهم للهجرة إلى الولايات المتحدة .

الأحمر : (وهو يضحك) ماذا يعمل بالله؟

الأبيض : إنه يلحن فيقول الناس آه .

الزوجة : (متأوهة) آه .

الأحمر : (متأوها) آه .

(صمت)

الزوجة : (معاتبة) كفا عن النزاع لم تعودا صغيرين .

الأحمر : (فخورا) لولاى ما دامت لنا الحياة الزوجية .

الأبيض : (فى امتعاض) الحق أنه لولاى لانفصمت عروة الزوجية فى أعقاب شهر العسل!

الأحمر : (ساخرا) أى فضل لك فى شهر العسل؟!

الزوجة : (مغطية وجهها) يا للفضيحة! . . أخفضا صوتكما!

(صمت)

الأحمر : (متذكرا أوجاع الكبر) آه .

الزوجة : آه .

الأبيض : آه .

(صمت)

الأحمر : آن لى أن أذهب إلى النادى .

الزوجة : يحسن بك ألا تخرج فى فصل الشتاء .

الأحمر : لا أريد أن يشمت بى أحد من الأعداء .

الأبيض : لا تبالغ فى تصور الأعداء .

الأحمر : الناس بطبعهم أعداء للرجل الناجح .

(وقع الأقدام يرتفع لدرجة لا تخفى على أحد. يرهفون السمع فى رهبة صامتين. يدخل الرجل بمنظره المألوف. يمضى ذهابا وإيابا فى سرعة أكبر من المنظر السابق وهم يتابعونه بذهول).

الزوجة : إنه يكاد يجرى .

الأحمر : يزداد جنونه استفحالا .

الأبيض : لا يبدو عليه الكبر مثلنا .

الزوجة : ما فائدة أن نتساءل عما يجعله يتبعنا؟!

الأبيض : ولا تؤثر فيه وسائل دفاعنا .

الأحمر : مهما يكن من أمر فلا يجوز أن نطلعه على ضعفنا .

الأبيض : أتؤمن بجدوى ذلك؟

الأحمر : بلا أدنى شك ، فلولا علمه بعملنا ونجاحنا وعلاقاتنا بذوى الشأن لقضى علينا من قديم!

(صمت)

الزوجة : أتوجد فائدة من مناقشته؟

الأحمر : يقينا لا .

الأبيض : واضح أنه يتبعنا أينما نذهب ولكنه لا يتعرض لنا بسوء .

الأحمر : (فى غيظ) ألم يجعلنا طول العمر نتوقعه ونفكر فيه ونضيق به ونتوجس منه؟

الأبيض : نحن الذين نفعل ذلك لا هو .

الأحمر : يا لك من مكابر!

الزوجة : كان وما زال هما ثقيلا على القلب .

الأحمر : كيف فاتنا طيلة عمرنا أن نهاجمه ولو مرة؟!

الزوجة : حذار أن تفكر فى ذلك .

الأبيض : لم نعد أهلا للمعارك .

الأحمر : ولكننا كنا أهلا يوما ما!

الأبيض : شغلتنا المعارك الأخرى .

الأحمر : لا يخلو صوتك من تأنيب أبدا .

الأبيض : دائما ألام على قول الحق!

الأحمر : أنت عبء طالما حملته فوق عنقى .

الأبيض : علم الله أنك كنت العبء لا أنا وأننى تحملتك بصبر يفوق طاقة البشر .

الأحمر : يا لك من مكابر جاحد!

الأبيض : يا لك من جاهل!

الأحمر : لولاك ما جرؤ هذا المجنون على مطاردتنا والاستهزاء بنا .

الأبيض : إنه يستهزئ بك وحدك .

(الزوجة تفصل بينهما لتلطف الجو. يسود الصمت. تتعلق الأبصار بالرجل المتحرك بسرعته المفزعة).

الأحمر : عندى فكرة .

الأبيض : كل ما فعلناه كان من وحى فكرك ولكنه لم يجد .

الأحمر : أتستهين بما فعلنا؟

الأبيض : كلا، إنه عظيم، ورغم مخالفته للقانون أحيانا فهو عظيم، ولكنه لم يرحنا من مطاردته.

الأحمر : لم لم نلجأ إلى المسئولين عن الأمن؟

الأبيض : لَأننا كنا وما زلنا نخشاهم!

(يتبادلان نظرة تحد ولكن الزوجة تفصل بينهما مرة أخرى).

الزوجة : لجأ كثيرون إلى رجال الأمن ولكن ماذا كانت النتيجة؟.. لا شيء، وهو لا يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون، ولعله يعتمد على صلاته بأناس فى أقوى مواقع السلطة، بل علمت أن كثيرين من رجال الأمن أنفسهم يعانون منه مثلنا.

الأحمر : لعله يطمع فى شىء مما نملك؟

الأبيض : ولكنه يطاردنا مذ كنا لا نملك شيئا.

(الأحمر يضرب الأرض بقدمه مغيظا محنقا)

(صمت)

الأبيض : (وكأنه يحدث نفسه) أهو يطاردنا حقا؟ وإن صح ذلك فلماذا يطاردنا؟ وهل يعمل لحسابه أو لحساب شخص آخر؟

(صمت)

الأبيض : (مسترسلا فى تفكيره) أضعنا وقتا طويلا دون أن نعنى عناية حقيقية بذلك.

الأحمر : (هازئا) لو عنينا بذلك عناية حقيقية لما تبقى لنا وقت لتحقيق شىء ذى قيمة!

الأبيض : نحن الآن على المعاش وبلا عمل جدّى.

الأحـــمـــر : ولكننا طاعنون فى السن، ومرضى، ولا قدرة لنا على البحث!

(صمت)

الـزوجـــة : (بغيظ) ترى ما الذى يجعله يحافظ على قوته رغم مرور الزمن؟

الأحـــمـــر : (فى سخرية) ربما لأنه لم يتزوج!

الـزوجـــة : (غاضبة) يا لك من جاحد أنانى!

الأحـــمـــر : (للأبيض) لا داعى لطرح أسئلة والانشغال بها على حين أنها واضحة الجواب، فهو يطاردنا بلا ريب، ويطاردنا ليقضى علينا، ولا يهم بعد ذلك أن يكون عمله لحسابه أو لحساب شخص آخر.

الأبـــيـــض : ولكن يخيل إلىّ أحيانا انه بفضله حققنا ما حققنا من عمل.

الأحـــمـــر : ليس بفضله ولكن دفعا لمطاردته الملحة.

الأبـــيـــض : (بنبرة اعتراف) الحق أننى قمت سرا بتحريات كثيرة عنه.

الأحمر والزوجة (معا): حقا؟

الأبـــيـــض : بلا نتيجة تذكر.

(صمت)

الأبـــيـــض : حسبته مندوبا لمصلحة الضرائب أو مرشدا للمخابرات أو موظف إحصاء، أو من شرطة الآداب!

الأحـــمـــر : جميع أولئك ثقلاء ولكن ليس لهذا الحد.

الأبـــيـــض : وحتى تلك المراكز الهامة تبين لى أنهم لا يعرفونه أكثر منا ويعانون من مطاردته مثلنا.

الأحمر : ولم سكتوا عنه وهم يقضون على الآلاف بلا حساب؟
الأبيض : بلَ إن محاولات قتله وفيرة ولكنها تبوء عادة بالفشل.
الزوجة : (فى عصبية) سرعته تدير رأسى!

(ينظرون إليه بحنق. يضرب الرجل الهواء بالسوط محدثا الطرقعة المخيفة. يتجمعون ويغادرون المكان ببطء حسبما تسمح به سنهم المتقدمة.
الرجل يستمر فى حركته على حين يهبط الظلام).

٦

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض والزوجة ولكنهم تغيروا تغيراً مذهلا، عادوا إلى منظر الشباب وملابسه كما رأيناها سابقا. واضح أنهم صبغوا الشعور وشدوا الجلود وفعلوا المستحيل لاستعادة شبابهم الضائع. يتبادلون النظرات وهم يبتسمون فى ارتياح وسرور).

الأحمر : آخر حيلة ولكنها تجوز على الجن الأحمر نفسه.
الزوجة : ما أحلى الرجوع إلى الشباب.
الأبيض : ما أحلاه.
الأحمر : لن يعرفنا ولو دار حول الأرض.
الزوجة : استجب يا رحمن.
الأحمر : من اليسير أن يتابع أناسا وهم يكبرون ولكن كيف يخطر له أنه يمكن أن يرجعوا يوما إلى الشباب؟!
الزوجة : قلبى يحدثنى بأننا نجونا من مخالبه.

الأحمر : وليعوضنا الله عما بذلنا من جهد ومال.

الزوجة : طبيب التجميل وما أخذ نظير تجديد جلد الوجه.

الأبيض : والصبغة العجيبة وارد الخارج.

الأحمر : والحقن، لا تنسوا الحقن.

الزوجة : والهرمونات والحمامات الطبية والتدليك الفنى.

الأحمر : (فى حبور) حل لغز ما وراء الموت أقرب إليه من التعرف علينا.

الأبيض : هى على أى حال آخر ما فى الجراب من حيل.

(صمت)

الأحمر : وثمة مفاجأة جديدة تتم بها اللعبة وتحقق كمالها المنشود.

الأبيض : أكثر مما تحقق بالفعل؟

الأحمر : نعم.

الأبيض : ترى ما هى؟

الأحمر : عروس جديدة!

(الزوجة تصرخ غاضبة محتجة مهددة)

الأحمر : لا تسيئى فهمى.

(الزوجة مستمرة فى صراخها الغاضب)

الأحمر : اعلمى أننى أعمل من أجل سعادة الجميع!

الزوجة : غدر وإجرام!

الأحمر : من أجل عذابك حيال مطاردته لنا اللعينة.

الزوجة : لا داعى مطلقا لهذه المفاجأة، ما حققناه كاف وأكثر.

الأحمر : انضمام العروس إلى الصورة الجديدة يغيرها تغيرا مطلقا.

الزوجة : أنت تستطيع خداعه ولكنك لا تستطيع خداعى .

الأحمر : لا مجال للشهوات ولكننا ندافع عن حياتنا .

الزوجة : لا تحاول خداعى ، أنا أعرفك أكثر مما تعرف نفسك .

الأحمر : مضى زمان الحب ، وما شبابنا الراهن إلا قناع ، هل تجدين رغبة فى الجنس؟

الزوجة : (بتحد) نعم .

الأحمر : يالك من عجوز مستهترة .

الزوجة : وعندك أضعاف ذلك .

الأحمر : لا تضيعى من أيدينا آخر فرصة لنا .

الزوجة : إن أردت عروسا جديدة فهاك أنا!

الأحمر : اتقى الله يا ولية وجربى قرعتك فى الحج هذا العام .

الزوجة : إنى صالحة للحب كما أنى صالحة للحج .

الأحمر : ألم تزجرينى كثيرا مذكرة إياى بالأبناء والأحفاد؟

الزوجة : لا تذكرنى بتلك الأيام اللعينة .

الأحمر : أؤكد لك أنك غير صالحة للحب .

الزوجة : جرب . . العبرة بالتجربة .

الأحمر : أنت مجنونة!

الزوجة : أنتَ غدار خائن .

الأحمر : (للأبيض) هل خرست؟ . . أسعفنا برأيك .

الأبيض : أمهلنا وقتًا للتفكير .

الزوجة : (للأبيض) حتى أنت تريد أن تفكر!

الأحمر : فات الوقت ، العروس الجديدة حقيقة مفروغ منها .

(الزوجة تعاود الصراخ)

الأبيض : كان يجب أن نتشاور!

الـزوجـــــة : لن يكون ذلك أبدا .

الأحـــمـــر : لا أسمح بكلمة أخرى . . وإلا اضطررت إلى الطلاق!

الـزوجـــــة : تطلقنى وأنا جدة؟ . . حتى الوحوش تستنكف ذلك .

الأحـــمـــر : اذهبى إلى أولادك قبل أن يعصف الغضب برأسى .

(الأبيض يتـدخل لإنقـاذ الموقـف. يأخـذ الزوجـة من يدها إلى الخارج وهو يحـادثها بصوت غيـر مسمـوع.. ثم يعود الأبيض وحده).

الأبـــيـــض : يا لك من جرىء حقا!

الأحـــمـــر : أظهر سرورك الآن يا منافق!

الأبـــيـــض : لن تجد عروسا مناسبة أبدا . .

الأحـــمـــر : عروس فى السادسة عشرة مثل لهطة القشدة .

الأبـــيـــض : أصغر من حفيدتنا .

الأحـــمـــر : ليست حفيدتنا على أى حال .

الأبـــيـــض : لا تحرجنا .

الأحـــمـــر : ستعلم أنها أقوى أثرا من كافة العقاقير .

الأبـــيـــض : يا لها من مغامرة!

الأحـــمـــر : لن تكون أفظع من المطاردة اللعينة .

(الأحمـر يصفق بيديه. نسمـع موسيقى الزفـة. تدخل العروس بين شابين همـا أمين من أمناء الشرطة حاملا جـهازه اللاسلكى ومأذون عصـرى متأبطا دفتره مـرتديا بنطلونا وقميصـا أمريكيا متـعدد الألوان. يقـدمان العـروس ويذهبان.. الثـلاثة يتبـادلون النظرات..).

الأحـــمـــر : مبارك يا عروس .

(العروس تضحك ضحكة عذبة دون أدنى ارتباك).

الأحمر : خذى راحتك على آخرها فأنت فى بيتك .

العروس : شكرا . . ولكن .

الأحمر : أفصحى عما تريدين بكل حرية .

العروس : أشعر كأنى فى حاجة إلى تشجيع .

الأحمر : قلت لك إنك فى بيتك .

العروس : أعنى أنه من المفيد . . أعنى أن قليلا من . . الويسكى . .

الأحمر والأبيض: ويسكى !

العروس : قليل منه مناسب .

الأحمر : هل لك تجربة سابقة به؟

العروس : فى نطاق ما يسمح به عمرى .

(الأحمر والأبيض يتبادلان النظر فى ذهول. ينتحيان جانبا).

الأحمر : فى نطاق ما يسمح به عمرى !

الأبيض : سمعت كل كلمة . . ما رأيك؟

الأحمر : ما كان كان .

الأبيض : عظيم .

الأحمر : ولكن الخمر مضرة لنا ونحن لم نجدد الكبد .

الأبيض : ولم نجدد القلب ولا العروق .

الأحمر : الله معنا .

(يرجعان وهما يبتسمان)

الأحمر : ما أجمل أن نستغنى عن الخمر !

العروس : أتسمعنى وعظا فى ليلة الزفاف؟

الأحمر : كلا ، ولكنها الصحة .

العروس : أأنت مريض؟

الأحمر : كلا . . ما زلنا بعيدين عن سن الأمراض !

العروس : اتفقنا!

الأحمر : (ضاحكا) يبدو لى أنك فتاة ذات ذكاء وتجربة.

العروس : هذا هو طابع القرن!

الأحمر : لا أستبعد أن تكونى على إلمام بالتربية الـ... العاطفية.

العروس : العاطفية؟

الأحمر : أعنى الجنسية؟

العروس : أووه.

الأحمر : لكنها لم تقرر بعد فى المدارس!

العروس : (ضاحكة) لكنها مقررة فى أماكن كثيرة!

الأحمر : يا لك من عروس مثيرة!

العروس : إذا كنت ممن يخافون فلم زججت بنفسك فى الحياة الزوجية؟

الأحمر : لا خوف هناك ولكن للأسر العريقة تقاليدها.

العروس : ططظ!

(الأحمر يتظاهر بالضحك وكذلك الأبيض)

الأحمر : أسلوبك بديع ولكنه جرىء، أجرأ من أساليب العذارى!

العروس : لم يعرف التاريخ إلا عذراء واحدة!

(الرجلان يتبادلان النظر فى ذهول. العروس تفتح حقيبة يدها وتخرج منها زجاجة ويسكى.. وتشرب.. وتمد بها يدها إليهما).

العروس : يبدو أنك بخيل، خذ واشرب وإلا غضبت.

(الأحمر يحرج فيتناول الزجاجة ويشرب ثم يعطيها الأبيض فيشرب، وتنتقل الزجاجة بينهم).

العروس : ذلك مفيد جدا فى التغلب على الحياء!

الأحمر : (مندهشا) الحياء؟!

العروس : نعم الحياء، أنت لم تر شيئا بعد.

الأحمر : نخب الحياء.

(الزجاجة تدور. فى نشوة يقبلان العروس فى الخدين فى وقت واحد).

الأحمر : (للعروس) لعلك مندهشة لأن القبل تنهال عليك من رجلين لا من رجل واحد.

العروس : (وهى منتشية) القبل نعم مشكورة لا يجوز أن نفسدها بالتساؤل!

الأحمر : (ضاحكا) الحقيقة أن لك زوجين لا زوجا واحدا!

العروس : (منقلة البصر بينهما) أرجو أن أجد فى ذلك الكفاية حتى أنعم بالاستقرار المنشود.

(الرجلان يتبادلان النظر ثم يغرقان فى الضحك. الزجاجة تدور مع القبلات).

الأحمر : لم نفلح فى إثارة دهشتك ولو مرة واحدة!

العروس : عسير جدا أن تثار دهشة فى هذه الأيام.

(الأبيض يتنصت فى ترقب مفاجئ)

الأبيض : (للأحمر) سمعت شيئا؟

(الأحمر ينصت. يترامى وقع أقدام)

الأحمر : لعله عابر سبيل..

الأبيض : ولكنها أقدامه هو.

الأحمر : غير معقول، وحتى لو كان هو فلن يتعرف علينا..

العروس : هل تتوقعان قدوم أحد؟

الأحـــمــــر : كلا .

الـعــــروس : أظن أن اثنين فيهما الكفاية !

(الرجل يدخل. هو هو كـما رأيـناه. يذهب ويجىء فى سرعـة تفوق سرعاته السابقة كلها).

الأحـــمــــر : اللعنة .

الأبــيــض : أعوذ بالله .

الـعــــروس : هذا الرجل أذكره .

الأحـــمــــر : أنت أيضا تعرفينه؟ هذا ما توقعته ، إنه مجنون .

الـعــــروس : مثل جميع الطاعنين فى السن فيما يبدو .

الأبــيــض : ولكنه ليس طاعنا فى السن فيما يبدو .

الـعــــروس : كان صديقا لأبى . .

الأحـــمــــر : (بإصرار) لنشرب .

(تدور الزجاجة بينهم)

الأحـــمــــر : لا مفر .

الأبــيــض : لا مفر .

الـعــــروس : ظننته يوما يطاردنى للحب . .

الأحـــمــــر : إنه مجنون بداء المطاردة .

الـعــــروس : لا يبعد أن يكون لطيفا خفيف الروح .

الأحـــمــــر : عرفناه أكثر منك .

(صمت)

الأحـــمــــر : (للرجل متـحـديا وهو ثمل) اجـر . . اجـر . . افـعل مـا تشاء . . ماذا يهم؟ . . ولكن لا تعد نفسك منتصرا . . لن نقتنع بأنك تتـعـرف علينا بحـاسـة مـجـهـولة . . أبدا . . الحكـاية أن البلد مـلأى بـالجـواسـيس . . أنت على صلة

بالشرطى أو المأذون أو طبيب التجميل أو الصيدلى . . لا سر هناك ولا معجزة . . افعل ما تشاء . . اجر . . اجر حتى تقع مغشيا عليك . . وسوف نضحك كثيرا وطويلا . .

الأبيض : (للرجل) ليتك تشرب معنا، الشرب صنع لنا معجزات . .

العروس : كيف أنساكما هذا الرجل عروسكما؟

(يدور الشراب والقبلات والأحضان)

الأحمر : (للرجل) سنفعل ما يحلو لنا تحت سمعك وبصرك، سينبت فى رأسك قرنان وأنت تجرى كالمجنون . .

الأبيض : (للرجل) معذرة، للخمر سلطان وللحب سلطان، ولكننا فى الواقع نحترمك، صدقنى فأنت تشغل من وقتنا أكثر مما تتصور، وأنا مقتنع بأنك لا تتعرض لنا بأذى، وأننا فى الواقع مسئولون عن كل شىء، فنحن الذين نعمل ونحن الذين نتغير ونحن الذين نكبر، ولا حق لنا فى أن نعلق عليك الأخطاء والمتاعب، وبودى أن تقبل دعوتى للشراب!

الأحمر : (للأبيض) يا لك من منافق!

الأبيض : لا تفسد شهر العسل بسوء الأدب.

العروس : هل تزوجتمانى لقتل الوقت بالشجار والجدل؟

(يرجعون للقبل والأحضان والضحك. العروس والأبيض يرقصان. الأحمر ينظر نحو الرجل وهو يترنح من السكر).

الأحمر : اجر . . لا يهم . . سيدور رأسك وتقع جثة هامدة . .

(العروس تتخلص من ذراع الأبيض ثم تقبل نحو الأحمر فيرقصان معا. الأبيض وهو يترنح ينظر نحو الرجل).

الأبـــيـــض : أود أن أقابلك على انفراد. .

(الرقص مستمر وكذلك الرجل)

الأبـــيـــض : سيجرى بيننا حوار مفيد، وإن كان ثمة جديد فلعله يكمن فى صدرك الصامت. .

(الرجل يضرب الهواء بسوطه محدثا طرقعة رهيبة..).

(الأحمر والأبيض يتلاصقان. يحاولان مغادرة المكان ولكن قدميهما لا تسعفانهما. يسقطان. يزحفان على أربع إلى الخارج حتى يختفيا تماما. العروس مستمرة فى الرقص وحدها.. الرجل تأخذ حركته فى التباطؤ رويدا رويدا حتى يقف تماما وهو يحرك قدميه (محلك سر). العروس ترقص وحدها أمام الرجل).

(ستار)


الجبل

كهف فوق سطح المقطم. إلى اليسار ممر يبدأ من نقطة عند حافة الكهف اليسرى ويمتد فوق السطح إلى الخارج. إلى اليمين ممر يبدأ من نقطة عند حافة الكهف اليمنى وينحدر نحو الخارج موحيا بالامتداد حتى سفح الجبل.

الكهف مظلم. ثمة أشباح. يد شبح تشعل المصباح المدلى من سقف الكهف. يتضح المنظر. يوجد رجل بالملابس البلدية مقيد اليدين والقدمين جالسًا على الجهة اليسرى من الأرض وأمامه من الناحية المواجهة خمسة من الشبان جالسين على الأرض أيضًا يرتدون القمصان والبنطلونات.

يتوسطهم عساف بمركز الرياسة. إلى يمينه إسماعيل وحلمى. إلى يساره رمزى وحسنى.

الرجل المقيد : (فى حال فزع) انقضضتم علىّ فى الظلام وأنا راجع فتوهمتكم لصوصا، وها أنا ذا أرى أنكم أبناء من حارتى، أنت عساف، أنت إسماعيل، أنت حلمى، أنت رمزى، وأنت حسنى، جيران وأبناء جيران، ما معنى ذلك؟ لماذا فعلتم بى ما فعلتم؟!

عساف : جئنا بك لنحاكمك.

الرجل : (وقد امتزج الفزع بالدهشة) قلت تحاكموننى؟

عساف : نعم.

الرجل : ما أنا بالمجرم.

عساف : إنك مجرم.

الرجل : وما أنتم بالقضاة.

عساف : نحن قضاة كما ترى.

الرجل : إن كنتم تريدون نقودًا...

عساف : (مقاطعا) لسنا لصوصا.

الرجل : ولست مجرما.

عساف : إنك مجرم وتعلم أنك مجرم.

الرجل : حذار يا أبنائى من الخطإ، القانون لا يغفل، ولا يفلت أحد من العقاب.

عساف : نشكر لك نصيحتك التى لا حاجة بنا لها.

الرجل : إنكم شبان، الحياة أمامكم طويلة وعريضة، ولستم قضاة.

عساف : نحن قضاة ما دام العدل لا يجد من يقيمه.

الرجل : إن كنتم قضاة فأين الدفاع؟

عساف : ما جدوى الدفاع وجريمتك جارية على كل لسان؟!

الرجل : إننى أقرأ الحكم فى أعينكم متجسدا.

عساف : وسبق أن حكم عليك كل متعامل معك.

الرجل : أمثالى يملئون الأسواق.

عساف : سيجيئون تباعًا..

الرجل : ليس ذنبى ولكنه الزمن.

عساف : بل هو الجشع.

الرجل : وما عقوبتى فى تقديركم؟

عساف : القتل!

الرجل : (صارخًا) القتل؟!

عساف : رجوعك يعنى هلاكنا.

الرجل : (متوسلا) أقسم لكم...

عساف : (مقاطعا) طالما حلفت كذبا بالطلاق!

الرجل : الرحمة!

عساف : قتلك رحمة بالعباد.

(يقفون وهو يرتعد. يحمله أربعة. الخامس يحمل خمس عصى غليظة ويتبعهم نحو اليسار. الرجل طيلة الوقت يستغيث)

(إظلام)

٢

(إضاءة)

(يرجعون متجهمى الوجوه. تمر فترة صمت في وجوم ثم يبدأ حسنى بالكلام وهو أسوؤهم حالا):

حسنى : أن تقتل إنسانا عمل فظيع حقا، لن أنسى نظرة عينيه ولا جمود الموت الناطق بالفناء، لا تعرف الحياة على حقيقتها إلا لحظة الموت، الحق لقد مت معه.

(صمت. حسنى يجفف عرقه) معذرة فإنها المرة الأولى.

رمزى : نحن مثلك..

عساف: (متغلبا على وجومه) هل انهرتم وانتهيتم؟

رمزى وإسماعيل وحلمى: كلا.. كلا.. كلا..

عساف: (مخاطبا حسنى) إنى مثلك تماما يا حسنى ولكن علينا أن نحترف ضبط النفس.

حسنى: تلزمنا أعصاب من فولاذ وقلوب لا تخفق!

عساف: علينا أن نتذكر دائمًا الظلم وأن نثق تمامًا بقوة العادة، وقد تناقشنا طويلا، واقتنعنا بكل قلوبنا، وتعاهدنا على عمل لا رجوع فيه، إنها رسالة، والرسالة وقودها العذاب.

حلمى: هذا ما ارتضيناه بوعى كامل.

عساف: واعتياد الظلم أفظع من اعتياد القتل.

حسنى: الظلم والقتل، كلاهما فظيع.

إسماعيل: لتغفر لنا نوايانا الطيبة.

عساف: تذكروا أننا شرفاء ورحماء.

حسنى: ولكننا لن نعرف الابتسام.

عساف: لنكن شهداء.

رمزى: لنكن شهداء.

عساف: (بنبرة جديدة) علينا أن ننسى الجبل إذا رجعنا إلى الحارة.

حلمى: نمارس حياتنا مثل بقية الناس.

إسماعيل: ونتساءل عن سر اختفاء عم فرجل مع الآخرين.

عساف: ونلعن اللصوص ونعطف على أولاده.

حسنى: أولاده؟! إنهم مظلومون مثلنا.

عساف: (بخشونة) نحن قضاة لا محامون، والتاريخ نهر طويل يتدفق بالدم المسفوك تسعة أعشاره من دماء الأبرياء.

عساف : (يتحرك نحو اليمين وهو يقول) : لا تنسوا أن دماءنا ستلتحم بدمائه البريئة ذات يوم .

(يذهبون واحدا فى إثر واحد).

(إظلام)

٣

(الكهف. عساف، إسماعيل، رمزى، حسنى)

عساف : لندع لحلمى أن يوفق فى مهمته .

إسماعيل : فكرة طيبة ، المجرم زير نساء ، سرعان ما يقتنع بأنه قادم على سهرة طيبة .

رمزى : ستهتز الحارة هذه المرة حتى الأعماق .

عساف : سيؤمنون بأنه سفاح خطير .

رمزى : لن يعطفوا على جلاديهم .

إسماعيل : من أسف أن الخوف سيجتاح الجميع .

حسنى : وربما فطنوا عاجلا إلى نوعية المختفين .

عساف : لعله أنفع لرسالتنا .

حسنى : فى تلك الحال يخشى على الأبرياء من سوء الظن .

عساف : الأبرياء لا خوف عليهم .

حسنى : قد يتعرضون للأذى .

عساف : أشعر بأنك لم تبرأ بعد من ضعفك .

حسنى : ألا ترى أنى أعمل مثلكم؟

عساف: أعنى القلب، فقد يستقل عن اليد واللسان!

رمزى: اطمئن إليه كما تطمئن إلى نفسك.

(تترامى نحنحة آتية من الخارج. يدخل حلمى يتبعه رجل فى ملابس بلدية فاخرة. الرجل يدهش لرؤيته الآخرين ويتوقف عن التقدم)

الرجل: (مخاطبا حلمى) ما معنى هذا؟!

(ينقضون عليه بسرعة وإحكام. يطرحونه أرضا. يقيدون قدميه وذراعيه وهو يقاوم عبثا. يجلسونه مكان الضحية السابقة وهو ينظر إليهم فى فزع).

الرجل: ما معنى هذا يا أبنائى؟.. محال أن تكونوا لصوصا.

حلمى: صدقت، ستعرف كل شىء.

عساف: لسنا لصوصا كما قلت، نحن قضاة نحاكم مجرمى حارتنا.

الرجل: (برعب) قضاة.. محاكمة.. مجرمون..!

عساف: كما ترى.. وقد سبقك إلى هنا عم فرجل.

الرجل: ماذا فعلتم به؟

عساف: (مشيرا إلى اليسار) إنه مدفون فى الجبل.

الرجل: ألا تخافون القانون؟!

عساف: نحن رجال القانون الأسمى، دافع عن نفسك.

الرجل: (بفزع) أنا فى عرضكم.. خذوا ما تشاءون.

عساف: دافع عن نفسك.

الرجل: (بضراعة) صبركم، فكروا قليلا، فيم أختلف عن أى مالك فى مصر؟ ماذا يجديكم قتلى؟

عساف: ينقص الظالمين واحدا.

الـــرجـــل : الأمر أكبر من ذلك ، فكروا قليلا ، لنتفاهم ، تجعلون من أنفسكم قتلة بلا ثمرة حقيقية .

عـــســـاف : لديك أقوال أخرى؟

الـــرجـــل : ماذا أقول؟ ماذا يمكن أن يقال؟ ستبقى المشكلة ، إنها أكبر منى ومنكم ، قد يوجد حل ولكنه ليس فى القتل .

(يقفون. أربعة يحملونه إلى سطح الجبل، يتبعهم الخامس بالعصى).

(إظـــلام)

٤

(إضـــاءة)

(يرجعون بوجوه متجهمة. نلاحظ أيضًا أنهم أملك لأنفسهم من المرة الأولى. أما حسنى فقد انتحى جانبا على حال واضحة من السوء. أربعتهم يلاحظونه بقلق، وبخاصة عساف).

(صمت)

عـــســـاف : لا يمكن أن تمضى الأمور على هذا النحو .

(صمت)

عـــســـاف : إنى أتساءل متى تبرأ من ضعفك !

حـــســـنـى : يستحوذ علىّ إحساس غريب ، لعله المرض .

عـــســـاف : كلا ، إنه أدهى وأمر .

حسنى : (بنبرة اعترافية) أخى عساف، ينبغى أن أصارحك بأن دفاع الرجل أقنعنى!

(فترة صمت)

عساف : ما شاء الله، وإذن فالرجل هو المظلوم لا أهل حارتنا!

حسنى : لا أعنى ذلك، إنما أعنى أن قتله لن يحل المشكلة.

عساف : اتفق رأينا فيما سبق على نقيض ذلك!

حسنى : (منفعلا) سنمضى من جريمة إلى جريمة، سنحترف الإجرام ونحن لا ندرى، بت أشعر بالمرض.

عساف : إنك مريض حقا، مريض الإرادة والروح.

حسنى : (بعصبية) العكس هو الصحيح!

عساف : حقا؟! كلامك يعنى أنك سليم وأننا المرضى؟

(صمت)

حلمى : (لحسنى) أهذا ما تعنيه؟

رمزى : (لحسنى) ماذا تقترح؟

عساف : بكل بساطة إنه يمهد للانسحاب.

حسنى : كلا.. أقترح أن نعدل جميعا عن خطتنا.

عساف : عن احتراف الإجرام؟

(صمت)

عساف : لا فائدة ترجى من مواصلة المناقشة، امكث قليلا فى هواء الليل النقى، استرخ فى هدوء، ثم نستأنف الحوار.

حسنى : (يتردد قليلا ثم يذهب ناحية اليمين ويخرج. يتبادلون النظرات).

عساف : ما رأيكم؟

حلمى : سوف يثوب إلى رشده.

إسماعيل: إنى لا أشك فى إخلاصه.

عساف: وإنى لا أشك فى إخلاصه، ولكن الضعف غزاه، ويجب أن نخشى عواقب ضعفه.

رمزى: لعله من الخير له ولنا أن ينسحب.

عساف: إنه حل قد يسفر عن عواقب وخيمة.

إسماعيل: لن يصلح رفيقا لنا.

عساف: أوافقك تماما، ولكن ما الخطوة التالية؟

رمزى: نعفيه من العمل.

عساف: من يضمن لنا سكوته؟

إسماعيل: لا شك فى إخلاصه.

حلمى: وكشف الأمر يودى به كما يودى بنا.

عساف: الضعف قد يؤدى إلى التهور أكثر مما تؤدى إليه القوة!

(صمت)

إسماعيل: احتمال بعيد جدّا.

عساف: وهل نضع أرواحنا ورسالتنا تحت رحمة الظروف؟

رمزى: لدى اقتراح آخر، أن يقتصر عمله على استدراج المجرمين.

عساف: لن يغير ذلك من واقع الأمر شيئًا.

إسماعيل: فلنجرب، لست متشائمًا.

عساف: دعونى أختبره..

(عساف يخرج ناحية حسنى. إسماعيل وحلمى ورمزى يتبادلون النظرات فى حيرة واضحة).

إسماعيل: الصبر، سينتهى الصراع إلى خير.

رمزى: لعله.

حلمى : صدرى منقبض.

(يرجع عساف متثاقل الخطوات. يجلس القرفصاء دافنا وجهه بين ركبتيه. ينظرون نحوه بقلق واستطلاع).

إسماعيل : ماذا وراءك

(صمت)

رمزى : يبدو أنك لم تقنعه؟

(صمت)

حلمى : تكلم يا عساف، لا تسلط علينا الهواجس.

(يذهب إسماعيل إلى الخارج. تترامى منه آهة فزع. يرجع منفعلا نحو عساف).

إسماعيل : لقد خنقته!

(يضطرب رمزى وحلمى. يهرعان إلى الخارج. يرجعان أشد اضطرابا).

إسماعيل : من يصدق؟

رمزى : إنه قرار انفرادى ما كان ينبغى أن يتخذ دون الرجوع إلينا.

حلمى : نحن نتدهور وننتحر.

عساف : (رافعا وجها متقلصا من الحزن) الألم يمزقنى.

إسماعيل : (بحدة) هيهات أن يرده ذلك إلى الحياة.

عساف : لم يدع لى فرصة الاختيار.

إسماعيل : نحن نعمل كوحدة لا تتجزأ فلم انفردت بالقرار؟

عساف : لقد تحملت عنكم الألم وحدى.

إسماعيل : لقد قضيت علينا بألم لا يمحى.

عساف : أقدمت على الجريمة دفاعا عنكم وعنى وعن الرسالة، إنى سريع الحزن والألم.

إسـمـاعـيل : إنك قاس فوق ما تصورت .

عـــــاف : الرحمة وحدها هى التى تحركنا .

إسـمـاعـيل : يا للعجب ! . . كيف طاوعتك يداك؟ !

(عساف يدفن وجهه بين يديه. صمت).

(إظـلام)

٥

(إضـاءة)

(عساف، إسماعيل، حلمى. وجوههم جادة ولكن يبدو أن ذكرى حسنى قد جرفتها الأحداث).

حـلـمـى : لم يعد للحارة من حديث إلا حديث السفاح الخفى .

عـــــاف : عظيم .

إسـمـاعـيل : أهلى يتساءلون أين أمضى بعض الليالى حتى الفجر !

عـــــاف : إنه سؤال يتردد فى بيتى أيضًا ويثير متاعب .

إسـمـاعـيل : لذلك يتولانى شعور أحيانا بأننى مطارد .

حـلـمـى : وقد يربط قوم بين غيابنا واختفاء الضحايا !

عـــــاف : لقد اخترنا وسلمنا بالمصير المحتمل .

* * *

(يدخل رمزى متأبطا ذراع كهل. يدهش الرجل ويدهش كذلك عساف وإسماعيل وحلمى).

الـكـهـل : أين نحن؟ (رمزى يدفعه فيوقعه. يتعاونون على تكبيله على

رغم مقاومته وصراخه. يتبادلون النظرات فى صمت).

خدعتنى يا رمزى، ماذا أرى، أنتم لصوص؟!

عساف: لنحمله إلى الخارج حتى نتشاور. (يمضون به إلى اليسار ثم يرجعون) (لرمزى) إنه ليس من كنا ننتظر ولا هو من المدانين.

رمزى: لكنه لا يختلف عنهم فى شىء.

عساف: ما جريمته؟

(صمت)

حلمى: المسألة بصراحة أنه نجح فى أن يكون خطيب البنت التى يحبها رمزى.

عساف: كيف تقحمنا فى شئونك الخاصة؟

رمزى: إنه كهل وهى فتاة فى السادسة عشرة، استغل فقرها، وفضلا عن ذلك فهو فاسق بدليل مجيئه معى جريا وراء سهرة محرمة.

عساف: مسألة شخصية.

رمزى: بل إنه استغلال دنىء للضعفاء.

عساف: قد تكون البنت آثرته باختيارها.

حلمى: لا نملك دليلا ضده، ثم إنها مسألة خاصة.

رمزى: لها صفة عامة فى رأيى.

عساف: لا يمكن أن نقتل لمثل هذه الأسباب.

حلمى: أتفق معك.

إسماعيل: وأنا كذلك..

رمزى: هل نطلق سراحه ليفشى سرنا؟

عساف: للأسف لا مفر من قتله ولكننا لن نقتله فلسنا مجرمين.

رمـــــزى : إنك تلقى ألغازا؟

عـــســـاف : إنى واضح تمامـا، عليك وحـدك أن تقـتله، وعليك وحدك أن تدفنه .

(رمزى ينظر نحو إسماعيل وحلمي ولكنهما يوافقان صامتين. أخيرا يتناول عصاه ويندفع نحو اليسار).

عـــســـاف : سيصبح منذ الآن مجرما .

حـلـمـى : أجل .

إسـمـاعـيل : الحق أننا شركاء له فى جريمته .

عـــســـاف : ماذا؟

إسـمـاعـيل : ها هو ذا برىء يقتل بموافقتنا واقتراحنا، ماذا تريدون أكثر من ذلك؟

عـــســـاف : هل عندك حل أوفق؟

(إسماعيل يصمت).

عـــســـاف : (لحلمى) هل عندك أنت؟

حـلـمـى : كـــلا .

عـــســـاف : هل من سبيل لإنقاذ شرفنا؟

إسـمـاعـيل : لن تنقذه قوة فى الأرض .

عـــســـاف : بل توجد وسيلة لإنقاذه!

إسـمـاعـيل : حقـــا؟

عـــســـاف : أن نعاقب المجرم بما يستحق .

إسـمـاعـيل : (فزعا) تقتله كما قتلت حسنى؟

عـــســـاف : (ساخرا) إنما أشير إلى الطريق الصواب ولكما الاختيار .

إسـمـاعـيل : إنه فوق ما نستطيع .

عـــســـاف : كونا مجرمين إذن .

حلمى : لننس الأمر كله .

عساف : هيهات .

حلمى : لا مفر من ذلك .

عساف : إنه الضعف يغزونا مرة أخرى .

إسماعيل : أصبحت الحياة كريهة .

حلمى : لننس الأمر ولنواصل السير ، أصبحت الحياة كريهة حقا .

عساف : لقد جردتنا هذه الجريمة من شرفنا .

(يرجع رمزى غاض البصر . يقف مستندا إلى الجدار . يسود صمت) .

(إظلام)

٦

(إضاءة)

(عساف، إسماعيل، حلمى، رمزى أمام ضحية جديدة مكبلة بالحبال. عند رأس الممر الأيمن خارج الكهف تقف فتاة متنصتة).

عساف : انتهى التحقيق فلنحمله .

(يحملونه ناحية اليمين مثل كل مرة سابقة).

(الفتاة تدخل الكهف بحذر، متوارية وراء الجدار تصرخ فزعة وتقع مغمى عليها).

(يرجع الشبان الأربعة فزعين وبأيديهم العصى. عساف يركع

إلى جانب الفتاة على حين يجرى الآخرون نحو المخرج الأيمن).

عساف : (بحنان) هبة . . حبيبتى . . ماذا جاء بك؟!

(يربت خدها. يرجع الشبان).

إسماعيل : لا يوجد أحد، كيف جاءت؟!

عساف : (للفتاة) هبة . . هبة . . أفيقى .

رمزى : ماذا جاء بها؟

(تأخذ الفتاة فى الإفاقة. تنقل عينيها بين الوجوه. تتذكر. تقف فزعة).

هبة : (لعساف) ابعد عنى، إنك قاتل، كلكم قتلة .

عساف : مهلا، لسنا قتلة، اهدئى حتى أطمئن عليك .

هبة : لا تمسنى . . ابعد . .

عساف : مهلا . . كيف جئت إلى هنا؟

هبة : إنه حظى، لأعرفك على حقيقتك، أنت قاتل؟!

عساف : سأشرح لك كل شىء .

هبة : لقد رأيت بعينى . . رأيت القتل والدم .

عساف : ماذا جاء بك يا هبة؟

هبة : كنت عمياء، لاحظت تغيبك ليلة بعد أخرى، ظننت . . المهم أننى تبعتك .

عساف : يا لسوء الحظ!

هبة : يا للقتل والدم والوحشية .

(تتحول لتذهب. يقف رمزى فى طريقها) .

هبة : دعنى أذهب .

(يتبادلون النظرات) .

حـلـمـى : غير ممكن .

إسمـاعيل : هذا مفهوم تماما .

هـبـة : فيم تفكرون؟

رمـزى : لا يمكن أن تذهبى ، هذه هى الحقيقة الأليمة .

هـبـة : ماذا تعنى؟

إسمـاعيل : حقيقة أليمة حقا .

حـلـمـى : أى لعبة قذرة دامية!

رمـزى : (لعساف) تكلم يا عساف .

(عساف يئن صامتا) .

رمـزى : لا حيلة لنا .

هـبـة : ماذا تريد؟

رمـزى : لن ترجعى أبدا .

هـبـة : (وهى فى رعب متزايد) ماذا تقصد؟

(تنظر نحو عساف فيزداد منها قربا) .

عـسـاف : دعوا المسألة لى .

رمـزى : أوضح!

عـسـاف : يلزمنى وقت للتفكير .

رمـزى : الأمر واضح جدا ولعلك لم تنس مصرع حسنى!

(عساف ينظر إلى رمزى بقهر) . تكلم يا عساف .

عـسـاف : (بانفعال) لا .

رمـزى : لا؟! ماذا تعنى؟!

عـسـاف : قلت لا . .

رمـزى : أتريد أن تضحى بنا من أجل حبيبتك؟ (هبة تقترب أيضا من عساف) إنها بريئة ، سيئة الحظ ، ولكن لا مفر من

قتلها . . (هبة تصرخ فزعة) عليك أن تقتلها وعليك أن تدفنها .

إسماعيل : يجب أن ينتهى هذا العذاب .

حلمى : لقد حلت بنا اللعنة . .

رمزى : إنها مهمتك يا عساف .

هبة : (لعساف) أنت تقتلنى؟

عساف : كلا . . لن يمسك سوء .

رمزى : هل تعنى ما تقول؟

عساف : (بتحد) كما تسمع وترى .

رمزى : ها أنت ذا تنكشف على حقيقتك .

عساف : لن يمسها سوء وأنا حى .

رمزى : (للآخرين) لنتخذ قرارا .

إسماعيل : صبرك .

رمزى : حتى متى؟

عساف : اعتمدوا على ، إنها مشكلتى وسأجد لها الحل المناسب . .

رمزى : إنه قرار غير قابل للتأجيل .

عساف : نهرب معا ، أنا وهى . .

رمزى : وتتخلى عن الرسالة وعنا؟

عساف : إنه الحل الوحيد .

رمزى : بل يوجد حل آخر ، أن تقتلها وتدفنها بنفسك .

(ثم ينظر رمزى إلى إسماعيل وحلمى محتدا ويقول) تكلما . . ما معنى الخرس فى موقف البيان؟

حلمى : الحقيقة واضحة .

إسماعيل : هذا حق .

رمزى : إنه قرار إجماعى . .

عساف : إنه المستحيل . .

رمزى : نعفيك من التنفيذ ونقوم به نحن .

(هبة تصرخ متعلقة بعساف) .

عساف : لن يتم هذا وأنا حى . .

رمزى : (منقضا عليه بعصاه) إذن يتم وأنت ميت .

(يتبادلان الضرب. يسقط رمزى) .

(هبة تندفع نحو اليمين هاربة. حلمى يتبعها بعصاه. يندفع عساف فى أثر حلمى فيعترضه إسماعيل ولكنه يقتله وينطلق خارجا) .

(إظلام)

٧

(إضاءة)

(يرجع عساف حاملا هبة بين يديه.يضعها على الأرض. ينظر إليها حزينا).

عساف: عندما يتجاوز الشعور بالألم حده يفقد الإحساس بذاته . لذلك فإنى هادئ وسعيد . لولا أن الوقت غير مناسب لغنيت ورقصت . الوداع لكل شىء طيب أو قبيح . ولتسعفنى سعادتى على دفن الحبيبة والزملاء والأمل .

وأقول لأى هاتف بأننى لن أعترف ولن أنتحر. فى سطح الجبل الغائص فى الظلام متسع للتخبط الجنونى الثمل.
امض أيها الشبح متلقيا الخلاء بخلاء أشد، مستعذبا التحدى بلا عون ولا هدف، مستشرفا ضربات المجهول ومفاجآت الغيب، مستعذبا الألم والسخرية وذكريات الأحلام الجميلة..

الشيطان يَعظ

مسرحية فى فصل واحد

مستوحاة من «مدينة النحاس»
ألف ليلة وليلة

١

(حجرة ذات أسلوب مغربى يتصدرها ديوان يجلس عليه موسى بن نصير).

(يدخل حاجب، ينحنى تحية).

الحاجب : مولاى الأمير، قد وصل الأمير طالب بن سهل مندوب أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان . .

(موسى يقف ثم يتجه نحو الباب. يدخل الأمير طالب بن سهل على حين ينسحب الحاجب. يلتقيان بالأحضان وسط الحجرة).

موسى بن نصير : أهلا وسهلا ومرحبا برسول أمير المؤمنين .

طالب بن سهل : أهلا بكم أيها الأمير موسى بن نصير، وإليك أحمل سلام مولانا الخليفة .

(يجلسان على الديوان جنبا لجنب).

موسى بن نصير : أطال الله بقاء مولانا للإسلام والمسلمين .

طالب بن سهل : تبلغنا أنباء طيبة عن المغرب .

موسى بن نصير : إنه يقبس أنواره من المشرق بفضل الله العظيم وحكمة خليفتنا .

طالب بن سهل : إنك أمير حائز الرضا، فليتم الله نعمته عليك .

(طالب بن سهل يصمت قليلا ثم يواصل).

طالب بن سهل : معى إليك رغبة لأمير المؤمنين .

موسى بن نصير : إنى رهن إشارة مولانا الخليفة .

طالب بن سهل : إنه يريد قمقما من قماقم العفاريت!

(موسى بن نصير يؤخذ بما سمع فيتطلع إلى محدثه صامتا).

طالب بن سهل : فى مجلس سمر جرى الحديث إلى ذكر العفاريت العصاة حبيسى القماقم فتاقت نفس مولانا إلى امتلاك أحدها ليرى بعينه ويسمع بأذنه ويقتنع بعقله .

موسى بن نصير : رغبة مولانا واجبة علىّ، ولكن ماذا أملك لتحقيقها؟

طالب بن سهل : قيل من ضمن ما قيل إنه توجد قماقم من قديم الزمان فى صحرائكم .

موسى بن نصير : أشهد الله على أننى لا أعلم عنها إلا السماع والظن . ولكن ثمة رجلا طاعنا فى السن يعد أخبر الناس بصحرائنا ، حاضرها وماضيها ، فضلا عما حباه الله به من حكمة ، فلنرسل فى طلبه .

(موسى بن نصير يصفق يدا على يد، يدخل الحاجب. على حين يهبط الظلام).

٢

(إضاءة)

(موسى بن نصير وطالب بن سهل. يدخل الحاجب).

الحاجب : الشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمُّودى. (ينسحب الحاجب. يدخل الشيخ. عجوز وقور. يرفع يديه تحية. يشير له ابن نصير بالجلوس فيجلس على وسادة بين أيديهما).

موسى بن نصير : مرحبا بالشيخ المبارك.

عبد الصمد : (حانيا رأسه) عظم الله المرسل ورسوله.

موسى بن نصير : إنك يا شيخ عبد الصمد رجل الصحراء دون منازع.

عبد الصمد : هى حياتى ومماتى أيها الأمير.

موسى بن نصير : لك علم ولا شك بما يقال عن قماقم العفاريت بها؟

عبد الصمد : (باهتمام) هذا ما توكده لنا الكتب القديمة.

طالب بن سهل : فى أى موقع من مواقعها؟

عبد الصمد : يقال إنها مستقرة فى قعر بحيرة بمدينة النحاس.

طالب بن سهل : وما مدينة النحاس؟

عبد الصمد : مدينة قديمة، يقال إنها ازدهرت قبل التاريخ المعروف بعشرين ألف سنة، لا يعلم عنها أكثر من ذلك، لم يذهب إليها أحد ولم يجئ منها أحد، قد تكون حقيقة وقد تكون خرافة.

طالب بن سهل : ألم يسع ساع إلى اكتشافها؟

عبد الصمد : ذاك ما يفوق طاقات الفرد والجماعة.

موسى بن نصير : مولانا الخليفة يرغب فى الحصول على قمقم من قماقمها!

عبد الصمد : (يصمت متفكرا ثم يقول) رغبة مولانا على الرأس والعين، ولكن الله أمرنا بالشورى، ومن يمد سلطانه بقوة القرآن فليس به حاجة إلى قوة العفاريت!

طالب بن سهل : اقتضت حكمته أن يسخرها فى خدمة الإسلام والمسلمين.

عبد الصمد : إنها مهمة شاقة حقا أيها الأمير، فعلينا أولا أن نكتشف موقع فارس من نحاس إذا فركت يده أشارت إلى مكان المدينة.

موسى بن نصير : ستجد منى كل عون.

عبد الصمد : نحتاج إلى قافلة كاملة ومؤن، وقوة وسلاح، وحذر ودهاء، فلعل المدينة ما زالت على قيد الحياة، ولعلها تستطيع التصدى للغرباء، بل لعل حاكمها قد سخر عفريتا لخدمته.

(موسى بن نصير وطالب بن سهل يتبادلان النظر برهة).

طالب بن سهل : لو كان لديهم عفريت مسخر لتسلطوا به على العالم.

موسى بن نصير : سأشرع من فورى لإعداد الحملة وسأكون على رأسها.

طالب بن سهل : ولن أتخلف عنها.

عبد الصمد : فليسدد الله خطانا وليجنبنا الضلال.

(يهبط الظلام)

٣

(إضاءة)

(مدخل مدينة النحاس. موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودى).

(ينظرون إلى الداخل وقد لفه ظلام الفجر).

موسى بن نصير : يا لها من رحلة خيالية فى مشقتها، لقد أرهقت الجند والجمال.

طالب بن سهل : لم يصادفنا حولها حى.

موسى بن نصير : اصبر، سوف ينقشع الظلام وتشرق الشمس.

طالب بن سهل : أليس غريبا أنه لا يوجد حارس واحد فى مدخل المدينة؟

عبد الصمد : لعل عزلتها الكاملة أغنتها عن الحراس.

طالب بن سهل : لم أعرف صمتا كهذا الصمت.

عبد الصمد : أهو صمت النوم؟

طالب بن سهل : ألا ينبح فيها كلب أو يصيح ديك؟

موسى بن نصير : ترى أين موقع البحيرة؟

عبد الصمد : ناحية المشرق غير بعيد من المدخل.

(يأخذ الظلام فى الانقشاع ويتجلى رويداً داخل المدينة).

(ميدان مكتظ بالناس، فى عمقه قصر، تقوم على دائرة محيطه الحوانيت وتتفرع عنه الطرقات. الرجال الثلاثة يتراجعون فى حذر).

موسى بن نصير : متى جاءوا؟ . . هل نستدعى الجنود؟

طالب بن سهل : انظر جيداً، إنهم لا يتحركون.

عبد الصمد : أجل.

طالب بن سهل : لا حركة، لا صوت، إنهم أصنام.

موسى بن نصير : هذه وجوه آدمية لا تماثيل.

طالب بن سهل : صدقت، هل يتحركون فجأة؟

موسى بن نصير : انظر إلى هيآتهم، كأنهم تجمدوا بغتة، توجد امرأة

على عرش، حولها حراس وحجاب، الجمهور منه من تجمد وهو يرقص أو وهو يهتف، هذه المرأة تجمدت وهي تزغرد، هذا الرجل تجمد وهو يصفق.

عبد الصمد : ليس في وسع حي أن يتجمد بهذا الكمال، ألا تطرف له عين؟

موسى بن نصير : أترى أنه الموت؟

عبد الصمد : إني أشم رائحته.

موسى بن نصير : وكيف لميت ألا يتهاوى ويتغير؟

طالب بن سهل : وأين بقية السكان؟ ألا يجيء شرطي أو عابر سبيل؟

عبد الصمد : سأقدم على مغامرة، بسم الله الرحمن الرحيم (ثم رافعا صوته).. يا هوه.. يا عباد الله.. (صمت).

موسى بن نصير : لا استجابة على الإطلاق.

طالب بن سهل : نحن حيال لغز.

عبد الصمد : لله ملك السموات والأرض.

طالب بن سهل : لابد من اكتشاف الحقيقة.. اتبعاني.

(يتقدم، يتقدمون في حذر، يلمسون المتجمدين، يشقون طريقهم بينهم حتى عرش المرأة).

موسى بن نصير : هؤلاء بشر وليسوا بتماثيل.

عبد الصمد : أموات، ولكن أي موت؟

طالب بن سهل : (مركزا بصره على المرأة) يا لها من امرأة جميلة.

موسى بن نصير : قصر جميل وحوانيت ثرية، متى وكيف تخلت عنها الحياة؟

طالب بن سهل : كيف حافظت على أشكالها وتوازنها، ما أجمل هذه المرأة!

عبد الصمد : قد يطول بنا الموقف، وهيهات أن نجد لهذا اللغز حلا، وقد نعود فيما بعد إلى هنا، أما الآن فلا يجوز أن ننسى مهمتنا.

موسى بن نصير : (متحركا وراء عبد الصمد) صدقت.

(ثم ينظر خلفه إلى طالب بن سهل).

موسى بن نصير : هلم أيها الأمير، هلم إلى البحيرة، احذر أن تقع فى شراك وهم.

(يهبط الظلام)

٤

(إضاءة)

(موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد، يرمون بالشباك فى بحيرة ويسحبونها فى دأب وصبر. تخرج شبكة عبد الصمد وفيها قمقم).

موسى : الله أكبر.

طالب بن سهل : قادر على كل شىء.

عبد الصمد : يسبح له الإنس والجن وكل حى وجماد.

موسى : قمقم صغير لا يتصور الإنسان أنه يحبس فى بطنه هذه القوة اللانهائية.

عبد الصمد : انظر إلى هذا المفتاح الصغير الملصق بعنقه، إذا دعك خرج العفريت وأصبح طوع أمرنا.

موسى بن نصير : هل نقدم على التجربة؟

عبد الصمد : لا أنصح بذلك، ولكننا نحاول الاتصال به.

موسى بن نصير : على الأقل ليتوكد لنا وجوده.

عبد الصمد : (يقرب إلى فمه عنق القمقم) أيها السجين، تكلم بحق الله المتعال.

صوت الجن : أخيرا وبعد عشرين ألف سنة من عذاب السجن.

عبد الصمد : من قضى عليك به؟

(صمت)

صوت الجن : ارتكبت معصية رآها ماسة بشرفه.

طالب بن سهل : ستحمل إلى أحكم الناس طرا مولانا الخليفة.

صوت الجن : كفانى عذابا، أخرجنى من القمقم أحقق لك ما تشاء نظير وعد بإطلاق سراحى.

طالب بن سهل : سيقضى الخليفة فى أمرك بما هو قاض.

صوت الجن : أصغوا إلى، إذا أخرجتمونى وجدتم فى خدمتكم قوة لا يقف أمامها بشر، بوسعى أن أجعل الخليفة نفسه عبدا لكم، لا تضيعوا فرصة لا تعوض لإنسان مرتين.

موسى بن نصير : عليك اللعنة، ما زلت عاكفا على الشر.

صوت الجن : ألا تحبون أن تسودوا الدنيا ومن فيها؟

موسى بن نصير : ملكك اللعين أخرج أبانا من الجنة فهيهات أن تخرجنا من الدين.

عبد الصمد : ألك علم سابق بمدينة النحاس؟

صوت الجن : كيف لا وأنا الذى قضيت عليها بالموت المسحور!

موسى بن نصير : إذن هى مدينة ميتة؟

صوت الجن : تلقت ميتتها المسحورة منذ حوالى عشرين ألف سنة.

طالب بن سهل : عشرون ألف سنة؟!.. كأنما ماتت لساعتها، ولكن لم قضيت عليها بما قضيت؟

صوت الجن : وقع قمقمى بين يدى الملكة ضمن صيد لها أصابه صياد القصر، ولمست يدها مفتاح القمقم وهى تقلبه فخرجت لها، وسرعان ما أدركت مدى القوة التى أذعنت لها، ثم وعدتنى بإطلاق سراحى إذا حققت لها ما تشاء، وإذا بها تتمادى فى غيها حتى الكفر! ولما كنت عفريتا مؤمنا بالله على رغم معصيتى فقد غضبت وأنزلت بها الميتة المسحورة التى تبقيها على حالها لا تتغير عبرة للمعتبرين، نابذا وعدها لى بالتحرر، هكذا ماتت المدينة ورجعت على رغم إرادتى إلى البحيرة.

عبد الصمد : سوف نخبر مولانا الخليفة بتضحيتك فى سبيل الله، وستكون خير تمهيد للإفراج عنك.

صوت الجن : طال انتظارى للعفو والرحمة.

طالب بن سهل : لكن من يثبت لنا صدقك؟

صوت الجن : بوسعى أن أجعل المدينة شاهدا على صدقى.

طالب بن سهل : كيف؟

صوت الجن : بوسعى أن ألغى سحر الموت عنها نهارا فتشهد بعينك ساعاتها الأخيرة.

موسى بن نصير : ألا يصيبنا سوء إذا عثروا علينا؟

صوت الجن : كانت مدينة عظيمة تموج بألوان البشر من الوافدين.

موسى بن نصير : وكيف نفهم لغتها أو تفهم لغتنا؟

صوت الجن : هذا علىّ هين.

طالب بن سهل : (بحماس) لابد من خوض هذه التجربة المثيرة، افعل أيها العفريت.

صوت الجن : إليكم آخر نهار من حياة المدينة، من طلوع الشمس حتى مغيبها.

(يهبط الظلام)

٥

(إضاءة)

(موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد، يقفون ناحية من الميدان غير بعيد من مدخل المدينة. يتابعون ما يحدث هنا وهناك وقد يعلقون عليه. ومنظر النهار يبدأ والميدان خال إلا من شرطي يتقلد سيفه ويتفقد الحوانيت. يمر عابر ثم آخر. يقبل التجار فيفتحون حوانيتهم ثم يقبل الزبائن نساء ورجالا وشبانا وتدب الحياة وتتصاعد).

موسى بن نصير : (ذاهلا) أيها الأموات.

طالب بن سهل : (متأملا) كما كنتم وكما نحن تكونون.

عبد الصمد : أموات لا يخطر لهم الموت ببال.

(من حانوت قريب تترامى أصوات. فتاة تقلب بين يديها أقمشة، وشاب أيضا يفعل مثلها).

التاجر : (للفتاة) إنه فاخر ومناسب وسيكون عليك فتنة للناظرين.

الفتاة : سأشهد به حفل زفاف فى الشهر القادم، أرنى أجمل ما عندك.

التاجر : إليك هذا الثوب وهو بخمسمائة.

الفتاة : الأسعار ترتفع بجنون.

الشاب : لكى تغطى أرباح الجشعين من التجار والحاشية!

التاجر : (للشاب) من أجل طول ألسنتكم ضاقت عنكم السجون!

الشاب : لن يبقى خارج الأسوار إلا العبيد.

صوت الجن : (للرجال الثلاثة) لم يحظ بالسيادة فى المدينة سوى الملكة والحاشية ورجال الأمن والتجار، وقد استعبدوا الشعب واستغلوه، ولما سقط القمقم بين يدى الملكة قررت أن تستعبد جميع قبائل الأرض.

موسى بن نصير : الحمد لله الذى هدانا إلى الإسلام فأنقذ كرامة البشر.

* * *

(يقبل شاب فتعترض سبيله فتاة جميلة ثم تتبعه مغازلة إياه وهو يتمنَّع ويتدلل).

الفتاة : كيف تسير وحدك يا جميل؟

الشاب : هذا وقت عمل، أليس لديك ما يشغلك؟

الفتاة : ما يشغلنى شىء عنك، تعال إلى نزهة وكأس عند البحيرة.

الشاب : (مسرعا) إن لم تنصرفى ناديت الشرطة!

عبد الصمد : (للقمقم الذى أخفاه فى عباءته) ما معنى هذا؟

صوت الجن : كان للنساء المقام الأول فى المدينة وبخاصة فى عهد الملكة ترمزين، وكانت الفتاة هى التى تخطب

عريسها، وهى التى تغازل الفتى، وهى التى تتمتع بحريتها الجنسية بخلاف الشاب.

طالب بن سهل : (ضاحكا) إذن لم تخل المدينة من طرائف مفيدة!

موسى بن نصير : (باسما) انتظر خيراً أيها الأمير فأنت الذى تمثل الشباب بيننا!

* * *

(تقترب متسولة من الرجال الثلاثة فى جلبابها الرث).

المتسولة : (للرجال الثلاثة) أعطونى مما أعطاكم الإله، أريد مأوى ورجلا وعبدا ومورد رزق ثابت.

طالب بن سهل : فليرزقك الذى خلقك.

المتسولة : (غاضبة) عليكم اللعنة.

* * *

(يقبل رجل مريض يتوكأ على ذراع زوجته).

المريض : (للرجال الثلاثة) أين الطريق إلى المستشفى؟

موسى بن نصير : نحن غرباء لم نعرف مدينتكم بعد، شفاك الإله.

المريض : غرباء؟! إنكم أصل المصائب، تجيئون إلينا من أطراف الأرض حاملين أمراضكم معكم، فتسرقون نقودنا وتعطوننا أمراضكم.

(يبصق ثم يذهب).

* * *

(يقدم موكب رجل غنى. عبيد يحملون هودجه، وعبيد يتقدمون موكبه وهم يوسعون له طريقا بين الناس بالعنف).

شابة : (لزميل يتأبط ذراعها) هذا سلوكهم، ماذا يفعلون غدا وقد سخروا العفريت لخدمتهم؟

صـــوت الجن : (للرجال الثلاثة) أعترف لكم بأن هذا القول وأشباهه أثرت فى، إذ إننى كنت أنتمى إلى شعب العفاريت المضطهدين.

* * *

(رجل عجوز يقف ناحية من الميدان).

العجـوز الضرير : من يسمع كلمة تنفعه؟ . . من يسمع كلمة تنفعه؟

(يقبل عليه نساء ورجال ذوو مظهر حسن وهم يتغامزون).

امـــــــــــرأة : (للعجوز) ماذا عندك مما ينفع الناس؟

العجـوز الضرير : إنى أعمى . . .

امـــــــــــرأة : (مقاطعة) هذا واضح.

العجـوز الضرير : ولكنى أرى خيرا منكم.

(ضحك).

العجـوز الضرير : أرى أشياء جميلة غير الشراء والربح والفسق والسكر وامتلاك العبيد.

كـــهل وجيـــه : يا لك من أعمى.

العجـوز الضرير : وأرى الموت أقرب إليكم من أجسادكم.

أصـــــــوات : عليك اللعنة.

(يقترب الشرطى فيضع يده على منكب الضرير).

العجـوز الضرير : من أنت؟

الشـــــــرطى : شرطى، ماذا تقول؟

العجـوز الضرير : (فى خوف) أقول لهم إن خدمة الملكة ترمزين أهم من الربح وامتلاك العبيد.

الشـــــــرطى : (بخشونة) اذهب لحال سبيلك، مولاتنا الملكة ليست فى حاجة إلى أحد.

* * *

(يخرج حاجب من باب مكتوب أعلاه «العدل أساس الملك»).

الحاجب : محكمة!

(يتوجه كثيرون نحو المحكمة ويقفون على مبعدة).

(يخرج شرطى سائقًا أمامه رجلا معصوب العينين يئن بصوت مسموع فيدفعه بعيداً عنه ثم يخاطب الجمهور).

الشرطى : ادعى هذا الرجل أنه توجد نجوم لا ترى بالعين فحكم عليه بفقء عينيه.

(يدخل الشرطى ثم يجىء بشاب يسير مفرجا الجمهور).

هذا الشاب طالب بمساواة الرجال بالنساء فقضى عليه بالإخصاء.. (ضحك).

(يدخل الشرطى ثم يرجع بنعش محمول. ثم يخاطب الجمهور).

هذه جثة مجرم، احتج جهرا على تسخير جلالة الملكة للعفريت.

(ثم يرجع وهو يقول) وفى الغد البقية، فإلى الغد.

عبد الصمد : (للقمقم) أهلكت المدينة كلها؟

صوت الجن : نعم.

عبد الصمد : وما ذنب هذا الشعب التعيس؟

صوت الجن : قررت إهلاك الظالمين بظلمهم والآخرين بنفاقهم وجبنهم.

عبد الصمد : ألم توجد بينهم مقاومة؟

صوت الجن : بلى، منهم من قتل، ومنهم من هاجر فنجا.

* * *

(صوت طبل يجىء من ناحية القصر الملكى. الأنظار تتجه نحو القصر. يخرج الحاجب الأكبر محوطا بحرس ثم يمضى حتى يقف فى وسط الميدان. يلتف الجمهور حوله. حتى التجار يغادرون حوانيتهم. يقترب من الجمع موسى بن نصير وطالب بن سهل وعبد الصمد).

(صمت)

الحاجب الأكبر : إعلان مهم من حضرة صاحبة الجلالة الملكة ترمزين إلى شعبها الوفى الأمين.

(صمت)

بناء على ما تيسر لنا من قوة لا نهائية بفضل تسخيرنا لقوة الجن فى خدمة شعبنا وتحقيق السيادة له على الأرض.

وبناء على نيتنا الصادقة فى ممارسة هذه القوة بالحكمة والعدل ومراعاة سعادة شعبنا بصفة خاصة وشعوب الأرض بصفة عامة، فقد تفضل الإله المعبود فأضفى رضاه عنا، وأصدر قراره بالنزول لنا عن عرشه فوق الأرض.

وإطاعة لقراره المقدس يتعين علينا أن نصبح المعبود الأوحد فى الأرض، وحق على شعبنا أن يعبدنا وأن يقدم لنا القرابين فى الأعياد الدينية.

وبهذه المناسبة المقدسة فإنى أدعو شعبى لشهود حفل التتويج الإلهى فى هذا الميدان عند غروب الشمس.

(صمت)

الحاجب الأكبر : (يهتف) لتحيا الإلهة ترمزين.

أصوات الحراس وبعض المتجمهرين : لتحيا الإلهة ترمزين .

(الحاجب الأكبر والحراس يرجعون إلى القصر).

موسى بن نصير : أعوذ بالله الواحد الأحد .

عبد الصمد : قتل الإنسان ما أكفره .

طالب بن سهل : كيف اختبأ الفجر البشع وراء ذلك الوجه الجميل؟!

* * *

وجيه : (لزميل له) كان الإله يتخذ من الأصنام رموزًا له وها هو ذا أخيرًا يتخذ رمزًا حيا جميلا .

الزميل : فلتحل بنا البركات .

* * *

تاجر : (لزميل له) من يصدق أننى حلمت بهذه المعجزة ليلة أمس؟

الزميل : إنك رجل ذو قلب نقى .

* * *

(يتجمع نفر من الشباب نساء ورجالا على مبعدة يسيرة من الرجال الثلاثة).

شاب : متى وكيف قرر الإله ألا يعبد فى الأرض؟

شاب ثان : ماذا يحدث لنا بعد موت المعبودة الجديدة؟

شابة : فى الحق نحن مدعوون لعبادة العفريت المسخر .

موسى بن نصير : (غير متمالك نفسه من الدخول فى حوارهم) أيها الناس إنه كفر وإنه لا إله إلا الله .

الشاب الأول : (لموسى) ماذا قلت أيها الغريب؟

موسى بن نصير : (محتدا) قلت إنه كفر ولا يجوز أن يضلكم عن إيمانكم .

الشـاب الـثـانى : (لموسى) صــه . . لا يخلو المكان من آذان وعـيــون . . هلم إلى الحقول لنستمع إليك فى أمان .

طالب بن سـهل : (يمسك بذراع مـوسى بن نصـير ويقـول) إياك أن تذهب معهم أيها الأمير .

موسى بن نصير : السكوت على الكفر كفر .

طالب بن سـهل : لقد مضى على الحوار عشرون ألف سنة .

موسى بن نصير : (يذهب قائلا) سأغير الماضى كما أغير المستقبل .

(يذهبون).

طالب بن سـهل : لقد زج بنفسه فى متاعب ماض انقضى منذ عشرين ألف سنة .

عـبـد الـصـمـد : نحن ملتحمون به الآن ولا ندرى كيف يتعامل معنا .

طالب بن سـهل : كأننى فى حلم .

عـبـد الـصـمـد : إنه حلم فى باطن حلم!

* * *

(صوت موسيقى من ناحية القصر).

(يخرج موسيقى ومنشد يتبعهما عبيد يحملون دنان الخمر).

(يملئون الكئوس.. يقدمونها للناس).

خـــــــادم : نخب المعبودة .

خـــادم ثـان : اشرب واطرب وتمتع بحياتك .

خـــادم ثـالث : الدنيا قبلة وكأس .

(أناس يقبلون على الشراب ويشيع الطرب).

* * *

(يذهب السقاة وهم يوزعون الخمر. تترامى أصوات موسيقى شعبية، يظهر فـريق جديد من طريق جانبى يدل مظهره على

أنه يمثل «سيرك» ويعلن عنه. يتقدمه مناد يتبعه بلياتشو ورجال أقوياء مصارعون وحاملو أثقال).

المنادى : بشرى . . بشرى . . **(الناس يلتفتون نحو المنادى) .**

السيرك الكبير يشارك فى أفراح الشعب لمناسبة تتويج معبوده الجديد بعرض خاص هذه الليلة ، برنامج حافل لم يسبق له مثيل ، إليكم بعض النمر المختارة :

مصارعة حرة بين أسد جائع وبين رجل من أهل مدينتنا ثبتت خيانته فى مطالبته بتحرير العبيد . عرض نماذج من مجانين ممتازين نساء ورجالا سبق أن تولوا مناصب مهمة فى الدولة .

حرق رجل وهو حى لاعتراضه على عبادة الملكة ترمزين .

رجل وامرأة يعرضان قواهما الجنسية العجيبة .

ساحر السيرك يتنبأ لأى زبون عن مستقبله .

نشيد جديد عن الأبطال الذين بنوا مدينتنا سيدة الدنيا .

(الناس تتابع الإعلان، وعند نهاية كل مقطع يتصاعد الهتاف).

طالب بن سهل : (ساخرا) وأسفاه . . لن يسعدنا الحظ بمشاهدة هذا العرض الحافل .

عبد الصمد : (باسما) من يدرى؟ ، قد ينجح الأمير موسى فى تغيير الماضى!

* * *

(ضجة تجىء من طريق جانبى. تتقدم الجماعة المتمردة على رأسها موسى بن نصير وقد أحاط بهم جنود شاكو السلاح يسوقونهم نحو القصر).

طالب بن سهل : (بجزع) اكتشفت السلطة أمرهم، ما العمل؟ أخاف أن يصيب أميرنا سوء؟

عبد الصمد : (محاولا تهدئته) هل تستطيع يد هالكة منذ عشرين ألف سنة أن تؤذى إنسانا من زماننا؟!

طالب بن سهل : محتمل أن يؤثر سحر قديم فى أحدنا، أليس كذلك؟

عبد الصمد : (للقمقم) أثمة خوف حقا على صاحبنا؟

صوت الجن : إنى لا أعلم الغيب.

عبد الصمد : لكنهم أموات يعيدون تمثيل أحداث وقعت وبلا زيادة.

صوت الجن : أضاف صاحبكم بتدخله حدثا جديداً.

طالب بن سهل : أرجعهم إلى ما كانوا عليه قبل أن يمتد يد بسوء إلى الأمير.

صوت الجن : هذا ما أعجز عنه وهيهات أن يتكرر قرارى قبل اللحظة التى وقع فيها.

طالب بن سهل : يا للفظاعة، لن أتردد عن التدخل لدى أول فرصة.

صوت الجن : إنها حياتك فافعل ما تشاء.

طالب بن سهل : (لعبد الصمد) لعلك تعرف قراءة الطالع؟

(تسمع السؤال امرأة مارة فتقف ثم تقترب من عبد الصمد).

المرأة : أود أن تقرأ لى طالعى.

(سرعان ما يتجمهر أناس حوله مستطلعين).

عبد الصمد : لست عرافا.

المرأة : سمعتك تقرأ لصاحبك طالعه.

عبد الصمد : ما سمعت من ذلك شيئا.

رجـــــــل : بل سمعتك . . لماذا تضن علينا بقدرتك؟
(المتجمعون يلحون فى غضب).
طالب بن سهل : اقبل، قل ما يحلو لك، وأنقذنا من غضبهم.
عبد الصمد : عظيم . . عم تسألون؟
المـــــرأة : الذى فى بطنى أنثى أم ذكر؟
عبد الصمد : ذكر . . أبشرى . .
المـــــرأة : (بفزع) أتسخر منى أيها الدجال؟!
عبد الصمد : (هامسا لطالب بن سهل) نسيت ورب الكعبة.
شـــــاب : (لعبد الصمد) ألا سبيل إلى مقاومة العفريت؟
عبد الصمد : لا تنس أنه يعمل فى خدمة إنسان!
الشـــــاب : (بحماس) بلى : سيظل الإنسان هو الأقوى.
كـــــهل : ما علاج الخوف من الموت؟
عبد الصمد : الموت نفسه.
(غضب من الكهل وضحك من الجمهور).
فـــتـــاة : متى يزول الظلم؟
عبد الصمد : بعد ساعات.
الفـــتـــاة : ماذا تعنى؟
عبد الصمد : ليس عندى زيادة.
رجـــــــل : قضيتى هل أكسبها؟
عبد الصمد : لن يكسبها خصمك!
الـــرجـــل : إنى أسأل عما يخصنى.
عبد الصمد : ليس عندى زيادة.
امـــرأة هزيلة : متى أشفى من مرضى؟
عبد الصمد : قبل حلول المساء.

المـــــــرأة : ما أحلى كلامك لو يتحقق .

(يمر الشرطى فيفترق الناس).

طالب بن سهل : كاد يغلبنى الضحك .

عبد الصمد : ما أعجب أن تحاور أمواتا!

طالب بن سهل : من موقعنا هذا ينكشف لنا الغيب طيلة هذه التجربة الفريدة .

عبد الصمد : حتى ذلك لا نستطيع أن نجزم به .

طالب بن سهل : نحن أحياء وهم أموات .

عبد الصمد : حسن أن تقول ذلك لنطمئن على أميرنا لكن لا تنس أنهم الآن أحياء وأننا لم نولد بعد .

طالب بن سهل : أود أن أفعل شيئًا لإنقاذ موسى .

* * *

(من القصر يخرج رئيس الشرطة يتبعه حراس. تنصب منصة فى الميدان).

حـــاجـب : الشرطة تحاكم المتمردين تمهيدًا لإحالتهم إلى المحكمة .

(الجمهور يهرع للمشاهدة).

(رئيس الشرطة يجلس على المنصة. يقدم أمامه مجموعة المتمردين وعلى رأسهم موسى بن نصير).

طالب بن سهل : ها هو ذا الأمير ، لن يمسه أحد بسوء وأنا حى .

عبد الصمد : تمهل . . ولنتابع الماضى وهو يحاكم المستقبل .

رئيس الشرطة : (للمتمردين) إنكم شباب أرعن ، لا إله لكم ، وجهركم بالشر يغنى عن مساءلتكم ، ستمثلون غدًا صباحًا أمام القاضى فى المحكمة .

(رئيس الشرطة يلتفت نحو موسى بن نصير ويقول)

رئيس الشـــرطة : ماذا أوجدك بين هؤلاء الشبان وأنت كهل، ما كنت أتصور أن الكهول قابلون للعدوى بأمراض الشباب.
ما اسمك؟

موسى بن نصير : موسى بن نصير.

رئيس الشـــرطة : أى اسم هذا؟

موسى بن نصير : هذا اسمى وأدعى به فى الشرق والغرب.

رئيس الشـــرطة : إنك تستحق بسببه السجن، أأنت غريب؟

موسى بن نصير : نعم.

رئيس الشـــرطة : من أى البلاد؟

موسى بن نصير : من بلاد المغرب.

رئيس الشـــرطة : لا علم لى بها. أنت كاذب، جاسوس وكاذب، ما عملك؟

موسى بن نصير : أمير المغرب.

رئيس الشـــرطة : لن ينفعك ادعاء الجنون.

موسى بن نصير : إنى أعرف أكثر منك بعشرين ألف سنة.

رئيس الشـــرطة : لن ينفعك ادعاء الجنون، إنك متهم بترويج أفكار مستوردة لإفساد شبابنا.

موسى بن نصير : ما قلت لهم إلا الحق وهو أنه لا إله إلا الله.

رئيس الشـــرطة : ها أنت ذا تعترف بكفرك على الملأ فما أنت إلا جاسوس يروج للكفر.

موسى بن نصير : سوف يحل بكم العقاب بعد ساعات ولا خلاص لكم إلا باتباع قولى.

رئيس الشـــرطة : سنرى من الذى سيحل به العقاب، سأفصل رأسك عن جسدك بيدى هذه صباح الغد. (للجنود) أعيدوهم إلى السجن.

(الجنود يسوقون المتهمين إلى القصر).

* * *

(يجيء رجلان وقوران، يقفان على مقربة من طالب بن سهل وعبد الصمد دون أن يفطنا إلى وجودهما).

الأول : سيدى الأستاذ نحن فى ورطة .

الثانى : لكل مشكلة مفتاح .

الأول : قضينا العمر ونحن ندرس لأجيال من طلاب العلم فلسفة تبجل الإله وقدرته، وتحلل الإنسان وفناءه، فكيف يكون موقفنا اليوم أيها الزميل؟

الثانى : نقول فى ترمزين ما قلناه فى الإله .

الأول : وكيف تفسر تناقضنا بين اليوم والأمس؟

الثانى : رأى الإله بقدرته اللانهائية أن يرفع الملكة إلى مرتبة الألوهية .

الأول : ولماذا ينزل الإله عن سلطانه لبشر فان؟

الثانى : لم تعد فانية .

الأول : وإن أدركها الموت؟

الثانى : أعتقد أننا سنسبقها إليه .

الأول : ومحتمل أن تسبقنا هى .

الثانى : نقول إن حكمة الإله لا تناقش .

الأول : وإذا تمادوا فى المناقشة؟

الثانى : نستعين بالشرطة فهى البرهان الأخير لمن لا يقتنع .

الأول : (ضاحكا) الآن شرحت صدرى، والآن نستطيع أن نعد الخطبة التى سنلقيها عند الغروب . . (يذهبان) .

طالب بن سهل : (متعجبا) حتى أهل العلم؟!

عبد الصمد : يؤسفنى أيها الأمير أن أذكرك بأن دار الإسلام لا تخلو من أمثالهم.

طالب بن سهل : (دهشا) أأنت من شيعة على بن أبى طالب؟

عبد الصمد : إنى من شيعة الحق ورزقى على الواحد الأحد.

* * *

(يقترب نفر من الشرطة من موقف طالب بن سهل وعبد الصمد).

الشرطى : (لعبد الصمد) أنت العراف؟

عبد الصمد : ما أنا بعراف.

الشرطى : ترامى خبرك إلى جلالة الملكة فقررت أن تسمعك. أبشر بحظك السعيد واتبعنى.

(يتردد عبد الصمد ولكن الجنود تدفعه صوب القصر).

طالب بن سهل : لم يبق سواى، أصبحت وحيداً فى هذه المدينة الميتة، ترى بأى حال تنتهى هذه المغامرة؟

* * *

(ما يكاد يتم قوله حتى تقترب منه امرأة كهلة حسنة المنظر).

المرأة : أبشر أيها الشاب السعيد

طالب بن سهل : ماذا وراءك يا سيدة؟

المرأة : اتبعنى إلى حظك السعيد.

طالب بن سهل : أى حظ سعيد؟

المرأة : لقد رأتك الملكة ترمزين من نافذة قصرها!

طالب بن سهل : (بذهول) الملكة ترمزين؟!

المرأة : وهى تدعوك إلى حظك السعيد، اتبعنى.

(تسير المرأة فيتبعها طالب بن سهل منفعلا بصورة واضحة).

(يهبط الظلام)

٦

(إضاءة)

(بهو العرش. الملكة ترمزين جالسة فوق العرش حجاب. حراس).

(تدخل المرأة).

المـــرأة : (تنحنى) مولاتى، إنه ينتظر.

الملكة : أذنت له.

(الملكة تشير إلى الحجاب والحراس فينسحبون).

(يدخل طالب بن سهل. ينحنى تحية).

(الملكة تبتسم. تشير إلى مقعد قريب فيجلس عليه. تمعن فيه النظر بإعجاب لا تحاول إخفاءه. طالب يبادلها النظر بتأثر).

ترمزين : العين أصدق رسول وأخلص دليل.

طالب بن سهل : هى كذلك يا مولاتى.

ترمزين : حدثنى عن نفسك.

طالب بن سهل : اسمى طالب بن سهل.

ترمزين : غريب مثل صاحبيك؟

طالب بن سهل : ومن بلاد بعيدة.

ترمزين : ما كنت أتصور أنه يوجد غريب بصورتك وقوامك.

طالب بن سهل : الغرباء مثل رعاياك يسعون ويحبون ويموتون.

ترمزين : لا تجدف إنك استثناء، ما عملك؟

طالب بن سهل : تاجر.

ترمزين : تاجر وعراف وجاسوس . . ماذا جمعكم؟

طالب بن سهل : لقد تورط صاحبنا دون قصد سيئ.

ترمزين : لا تدافع عن مجرم، ولكن لندع هذا الحديث جانبا، قلت إنك تاجر. التاجر شخص ممتاز ومفيد، ولكن موضعك الحقيقى بين الحجاب أو الحراس.

طالب بن سهل : ما أنبل نواياك يا مولاتى!

ترمزين : نحن النساء ننتظر قدرنا منذ البلوغ، وصدقنى فإنك أول رجل فى حياتى.

طالب بن سهل : من السعادة يا مولاتى ما يعز على الأحلام.

ترمزين : (باسمة) فيك جرأة محببة، ما من شاب فى موقفك إلا ويبدى الخجل والتمنع، أما أنت فتجاهر بسعادتك بلا تردد، أصارحك بأنه يعجبنى الشاب المتحلى بأحوال النساء!

طالب بن سهل : (مداريا ابتسامة) أخرجنى الانبهار من الحياء.

ترمزين : بالصدق والصراحة هل تبادلنى عواطفى؟

طالب بن سهل : أجل. . أجل يا مولاتى، ومنذ قديم.

ترمزين : حقا؟ . . لعلك رأيتنى فى احتفال البحيرة؟

طالب بن سهل : رأيت جمالك فى خلوده.

ترمزين : رأيتك من نافذتى، من نظرة عابرة، دلتنى على أغنيتى المفضلة.

طالب بن سهل : ليهنأ كل محب بحبه إكراما لحبنا.

ترمزين : ولكن تجىء المتاعب فى أعقاب الحب!

طالب بن سهل : المتاعب؟

ترمـــــزين : اختيار غريب لرئاسة الحرس قرار مثير للاستياء. (صمت) وزواجي من بشر عقب جلوسي على عرش الآلهـة مسـتحـيل، ولكنك ستكون أقرب إلى من أنفاسي المترددة.

طالب بن سهل : (بنبرة غلبها الحزن) ستصفو لنا الأيام.

ترمـــــزين : وجـــهك ينطق بالأسى على حين يلهج لســانك بالسعادة.

طالب بن سهل : إني أتساءل هل يسعد إنسان حقا بحب إلهة؟

ترمـــــزين : بين يديك سأظل امرأة!

طالب بن سهل : قلبي يتوجس خيفة.

ترمـــــزين : يا له من قلب ساذج.

طالب بن سهل : لم يحدث ذلك لبشر من قبل.

ترمـــــزين : كأنما يداخلك شك في قدرتي؟

طالب بن سهل : إني بشر وأتمنى ألا تتخلى حبيبتي عن بشريتها.

ترمـــــزين : لدى من القوة ما أستطيع أن أطيِّر به مدينة في الفضاء.

طالب بن سهل : قوة عفريت مذنب؟!

ترمـــــزين : القوة هي القوة بصرف النظر عن مصدرها، ماذا يملك الإله أكثر من ذلك؟

طالب بن سهل : يملك القوة ومصدرها والمسيطر عليها.

ترمـــــزين : إنك تذكرني بأقوال الخونة!

طالب بن سهل : ما أنا إلا محب يحب حبه ويحرص عليه.

ترمـــــزين : ستجد ألا أصل لمخاوفك وأوهامك.

طالب بن سهل : أتوسل إليك أن ترجعي عن قرارك قبل فوات الفرصة.

ترمزين : أرجع؟

طالب بن سهل : أتوسل إليك، من أجل حبنا، من أجل سعادتنا.

ترمزين : سنكون أقدر على الاستمتاع بها من جميع البشر.

طالب بن سهل : إنها تجربة تنذر بالهلاك.

ترمزين : الهلاك؟!.. ماذا قلت؟

طالب بن سهل : ارحمى قلبى وحبى.

ترمزين : ما أعجب الحب، لو نطق غيرك بما نطقت به لفصلت رأسه عن جسده.

طالب بن سهل : ابقى امرأة لا إلهة.

ترمزين : ستجدنى امرأة وقتما تشاء.

طالب بن سهل : (بحرارة) أصغى إلى باسم الحب، صدقى قلبا يهيم بحبك، فالحب يلهمه الصواب. أقول إن الهلاك معلق فوق رأسك فتجنبيه، خذى الحب ودعى الموت، استجيبى لى لعل معجزة تقع.

ترمزين : (ضاحكة) أيها الرعديد المحبوب، ستشهد التتويج بنفسك، ثم نرجع لنصنع من حبنا الأعاجيب.

طالب بن سهل : (بأسى) لن نذوق من الحب قطرة واحدة.

ترمزين : (بحدة) إنك تتحدث عن الموت كأنه حقيقة واقعة.

طالب بن سهل : لقد رأيته بعينى!

ترمزين : (ساخرة) أأنت عراف أم تاجر؟

طالب بن سهل : أنا محب والمحب يرى ما لا يراه الآخرون.

ترمزين : كفى، لن ننتهى إلى اتفاق، تعلق بمخاوفك حتى تنقشع فى ليلتنا السعيدة، حسبنا ما ضاع فى نقاش عقيم، إنى أنتظر صاحبك العراف الذى أجلت لقاءه لهفتى عليك، لنسمع صوت الغيب الصادق.

(تصفق. يدخل حاجب).

ترمزين : إلىّ بالعراف . (الحاجب يذهب. عبد الصمد يدخل. يرفع يديه تحية. يلمح طالب بن سهل ولكنه يتجاهله. يجلس عندما تشير إليه الملكة بالجلوس) (لعبد الصمد) أبلغتنى عيونى المنتشرة فى كل مكان عن قدرتك .

عبد الصمد : ما أنا إلا عبد .

ترمزين : لدى أسئلة عن الغيب قبل أن يسفر لى عن وجهه عند المغيب .

عبد الصمد : ما أنا إلا عبد .

ترمزين : تواضع محمود ، أجبنى يا رجل : هل يوجد متمردون آخرون غير الذين قبض عليهم اليوم؟

عبد الصمد : التمرد كامن فى القلوب ، جهر به البعض فقبض عليهم ، وأخفاه الآخرون وراء أقنعتهم الكاذبة .

ترمزين : (بحدة) ماذا قلت؟

عبد الصمد : أقول ما يخطر لى وإن شئت سكت .

ترمزين : ألا يؤمن بى أحد؟

عبد الصمد : حتى الشيطان فى قمقمه يعبد الإله .

ترمزين : خيبت ظنى بك .

عبد الصمد : حذار من قرارك ، سينفجر لعنة مدمرة على الأرض .

ترمزين : وما مصير ترمزين؟

عبد الصمد : مصيرك بيدك .

ترمزين : إنى أحب الحياة .

عبد الصمد : ما عليك إلا أن تحبيها بصدق .

ترمزين : أحبها وأحب الحب .

عبد الصمد : إذن تراجعى عن الموت.

ترمزين : إنى أدرك ما ترمى إليه.

عبد الصمد : ستهلكين عند مغيب الشمس.

ترمزين : أعلم يقينا أنك كاذب، أتدرى ماذا يصيبك إذا نجوت؟

عبد الصمد : إذا نجوت من الموت فأرسلينى إليه.

(طالب بن سهل يرفع يده مستأذنا فى الكلام).

ترمزين : تكلم يا طالب.

طالب بن سهل : مولاتى، هذا الرجل يتكلم بثقة، وقد راهن على صدقه بحياته.

ترمزين : إنى أملك قوة لا تقاوم.

عبد الصمد : عفريتك عبد للإله، سيغضب لإلهه فيتخلى عنك ولو فقد آخر أمل فى تحرره.

طالب بن سهل : سوف يدمرك فوق عرش الألوهية.

ترمزين : (غاضبة) الآن وضح الحق، ما أنت يا طالب إلا نسيج فى مؤامرة، مثل هذا العراف الكاذب، ومثل صاحبكم الذى قبض عليه وهو يؤلب شعبى علىّ. (ترمزين تصفق. يدخل حاجب) أحضروا الجاسوس. (للرجلين) إنكم تخافون القوة المسخرة أن تذل شعوبكم، ولكنى سأعتلى بها عرش الألوهية وأسود الأرض، الحب نفسه يا طالب لن يغرينى بخيانة مدينتى المقدسة..
(يحضر موسى بن نصير ويسمع آخر خطابها ثم يقف)
(تلتفت إلى موسى بن نصير غاضبة) ها هو ذا الجاسوس الذى سيفصل رأسه عن جسده غدًا (ثم ملتفتة إلى طالب بن سهل) أما أنت فإنك شر الثلاثة لقد اتخذ

أحدهما من الجاسوسية وسيلة إلى هدفه، ومارس الثانى الدجل، أما أنت فأهنت الحب المقدس، أنزلته من علياء سمائه وجعلته خدعة دنيئة.

طالب بن سهل : (بحرارة وأسى): أقسم بربى أننى أحبك من كل قلبى، وأننى أتحدى الماضى والواقع لأنقذك من العدم.

ترمزين : هيهات أن أصدقك.

موسى بن نصير : (منفعلا) الوقت يقترب بسرعة مخيفة، وإذا أردنا أن نخوض التجربة المتاحة النادرة وهى تغيير الماضى فما علينا إلا أن نكاشفها بالحقيقة (صمت).
(للملكة) أيتها الملكة.. إنك فى الحقيقة ميتة قد شبع منك العدم.

ترمزين : (تضحك ساخرة) أيها الضال المضلل، بلغنى أنك تدعى الجنون، ولكنك ستنال جزاءك غداة الغد، أنت أنت الميت لا ترمزين.

موسى بن نصير : إنك ميتة منذ عشرين ألف سنة!

ترمزين : (مغرقة فى الضحك) خوفكم من قوتى أذهب عقولكم، فلتذهب إلى الجحيم ولتبق ترمزين ومدينتها إلى الأبد.

عبد الصمد : ما أشق أن تقنع حيا بأنه ميت.

طالب بن سهل : مولاتى، أعيرينا أذنك لتسمعى قصة مدينتك.

ترمزين : أيها المخادع الكذاب هل تشاركهما جنونهما؟ هل ترانى ميتة أيضًا؟

طالب بن سهل : لقد اكتشفنا المدينة وما بها إلا جثث أهلها: ولما استخرجنا العفريت من البحيرة اعترف لنا بأنه هو

الذى أنزل بها الموت المسحور جزاء كفرها، ولكى يثبت لنا صدقه أوقف سحره نهاراً واحداً هو هذا النهار الذى يقترب من نهايته، هكذا دبت فيكم حياة كالحلم لا تلبث أن تنقشع، وسوف يدرككم الفناء كما أدرككم أول مرة.

ترمزين : يا للدجل والكذب والخداع!

عبد الصمد : اعدلى عن قرارك توهب لك الحياة من جديد.

طالب بن سهل : هى الحقيقة يا مولاتى، صدقينا قبل فوات الفرصة النادرة.

ترمزين : أيها الجواسيس الحقراء الحاقدون على عظمة مدينتى الموعودة!

موسى بن نصير : عن أى عظمة تتحدثين؟ ما هى إلا عظمة ذاتك ورجالك، إنك تذلين شعبك كما تذلين الغرباء، حتى أصحاب العقول والإلهام جعلت منهم عبيدا ودمى. انظرى، ها هو ذا المستقبل يتجسد أمام عينيك ويعدك بمعجزة فاستجيبى له، فمن لم يفقه لغة المستقبل دمره الحاضر.

ترمزين : (تخرج القمقم من تحت وسادة) أيها العفريت. اقذف بالحقيقة فى وجوه هؤلاء الجواسيس. (صمت) (مقطبة) أيها العفريت!

(صمت) (ثائرة) فهمت. . ما أنتم إلا سحرة، تسلطتم على لسان العفريت، ولكنى ما زلت مالكته، وسوف يتحرر من سحركم حال قتلكم.

طالب بن سهل : حبيبتى لا تهدرى فرصة لا يجود بها الزمان أبدا،

أمامنا فرصة للحب والخلق معجزة يفيد منها عالمنا الحى، اقنعى بإنسانيتك وفيها الكفاية من المجد، أطلقى سراح العفريت فما يجوز أن يملكه فرد به ضعف، حررى شعبك، احترمى عقل الإنسان وقلبه، المجد لمن يخدم لا لمن يستخدم، ولنحظ بعد بأغنية الحب الخالدة فلا خالد فى الدنيا إلا أنغامها.

ترمزين : لا يوجد فى الأحياء من يستطيع خداعى.

عبد الصمد : (للقمقم) كاشفها أنت بالحقيقة، دعنا نشهد المعجزة!

(صمت)

صوت العفريت : مولاتى ترمزين.

ترمزين : (بدهشة وسرور) أخيراً تكلمت.

صوت العفريت : إنى رهن إشارة منك.

ترمزين : أيها العفريت ما رأيك فيما قال هؤلاء؟

طالب بن سهل : نحن راضون بحكمه ولكن عليك أن تفقهى قوله.

ترمزين : (للقمقم) ما رأيك فيما قال هؤلاء؟

(صمت)

صوت العفريت : إنك حية بل سيدة الأحياء.

(ترمزين تضحك فى سرور وشماتة)

عبد الصمد : أيها العفريت، ألم تهلك المدينة وصاحبتها منذ عشرين ألف سنة؟

صوت العفريت : كذبت أيها الجاسوس!

ترمزين : يا للنصر.

(تصفق. يدخل حاجب. تأمره بإحضار الجنود)

صوت العفريت : لا يجوز أن تعدمى أحداً منهم قبل التتويج.

(يدخل الجنود)

ترمـــــزيـن : خذوا الجواسيس إلى السجن وآتونى برءوسهم لدى عودتى من التتويج .

(تقف. تقترب من طالب وهو ضمن المقبوض عليهم)

(لطالب بن سهل) سوء الحظ لم يدركك وحدك يا طالب .

طالب بن سهل : إنى سيئ الحظ ما فى ذلك من شك .

ترمـــــزيـن : لا مجد بلا ثمن . (تشير إلى الجنود فيمضون بهم)

(محدثة نفسها فى أسى) ولكن ما أفدح الثمن .

(يهبط الظلام)

ـ٧ـ

(إضاءة)

(الميدان)

(حراس.. الجمهور يتطلع نحو العرش. موسيقى يتخللها هتاف كالهدير طبول يعقبها صمت شامل)

(يظهر موكب الملكة ترمزين خارجا من القصر فى هالة بالغة من الكمال والجمال)

(هتاف يستمر حتى تجلس على العرش)

(تشير الملكة إلى كبير الحجاب)

(يتقدم كبير الحجاب ويلقى خطبته)

كبير الحجاب : أيتها الملكة المجيدة ترمزين، سيدة عالمى الأحياء والأموات..

ودعى آخر لحظة من حياة البشر الفانية، وتبوئى عرش

الألوهية الخالد، دمت لنا وللأرض «إلهة خالدة»!

(فجأة يرعد انفجار مروع يعقبه ظلام)

٨

(إضاءة)

(المنظر الأول. منظر الميدان والجثث المتجمدة. موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد)

(موسى وعبد الصمد ينظران فيما حولهما. طالب مستغرق في النظر إلى ترمزين)

عبد الصمد : مدينة الموت.

موسى بن نصير : مدينة الحلم.

طالب بن سهل : مدينة الحب المستحيل.

عبد الصمد : (منفعلا لـلقمقم) خدعتنا أيها العفريت، ما زال قلبك ينبض بالشر!

صوت العفريت : أبيت أن أضيف إلى ذنوبي ذنبا جديداً.

عبد الصمد : أي ذنب في هداية امرأة ضالة إلى الصواب.

صوت العفريت : لو فعلت لتعذر على إهلاكها، ولبعثت إلى الوجود مدينة ملعونة هلكت بظلمها لتواصل حياة غريبة متأخرة عن دنياها عشرين ألف سنة، ولعمري إن ذلك شر من الموت نفسه.

موسى بن نصير : حجة مقبولة فيما أرى، فما يهلك لظِلم لا يحق بعثه.

صوت العفريت : حسبنا أن الثائرين قد هاجروا فنجوا ثم جاء عالمكم من ذراريهم .

عبد الصمد : (باسمًا) يبدو أنه قد اندس بينهم نفر من المنافقين والجبناء . . فما أبعد دنيانا عن الكمال .

موسى بن نصير : (ملتفتا نحو طالب بن سهل) أفق أيها الأمير فلا جدوى من التعلق بحب زمان مضى .

صوت العفريت : لقد كفرت عن ذنبى ، أطلقوا سراحى أيها الرجال الصالحون .

موسى بن نصير : عليك أن تقنع بذلك مولانا عبد الملك بن مروان .

صوت العفريت : صدقونى لا يجوز أن يملك قوتى إلا حكيم .

موسى بن نصير : خليفتنا أحكم الحكماء .

صوت العفريت : لا يخلو من أهواء البشر وضعفهم ، ألا ترون كيف يرد على حجج معارضيه بالسيف المسلول؟ (يتبادلون النظر فى صمت).

موسى بن نصير : (للقمقم) إنك قوة لو استغلت للخير لجعلت من دنيانا جنة .

صوت العفريت : ما تسلط علىَّ فرد إلا جعل منى نعمة له ولمن يحب ونقمة على الملايين ، صدقونى ما أحدث عفريت منا شرّاً إلا تنفيذاً لمشيئة إنسان .

(يتبادلون النظر مرة أخرى)

عبد الصمد : لنطلق سراحه .

طالب بن سهل : هل أخيب فى مهمتى كما خبت فى حبى؟!

عبد الصمد : لا تتحمل مسئولية ستسأل عنها أمام رب العالمين .

صوت العفريت : قل لمولاك : من يحكم بالإيمان فلا حاجة به إلى الشيطان .

عبد الصمد : انطلق أيها العفريت فلقد نطقت بالحق .

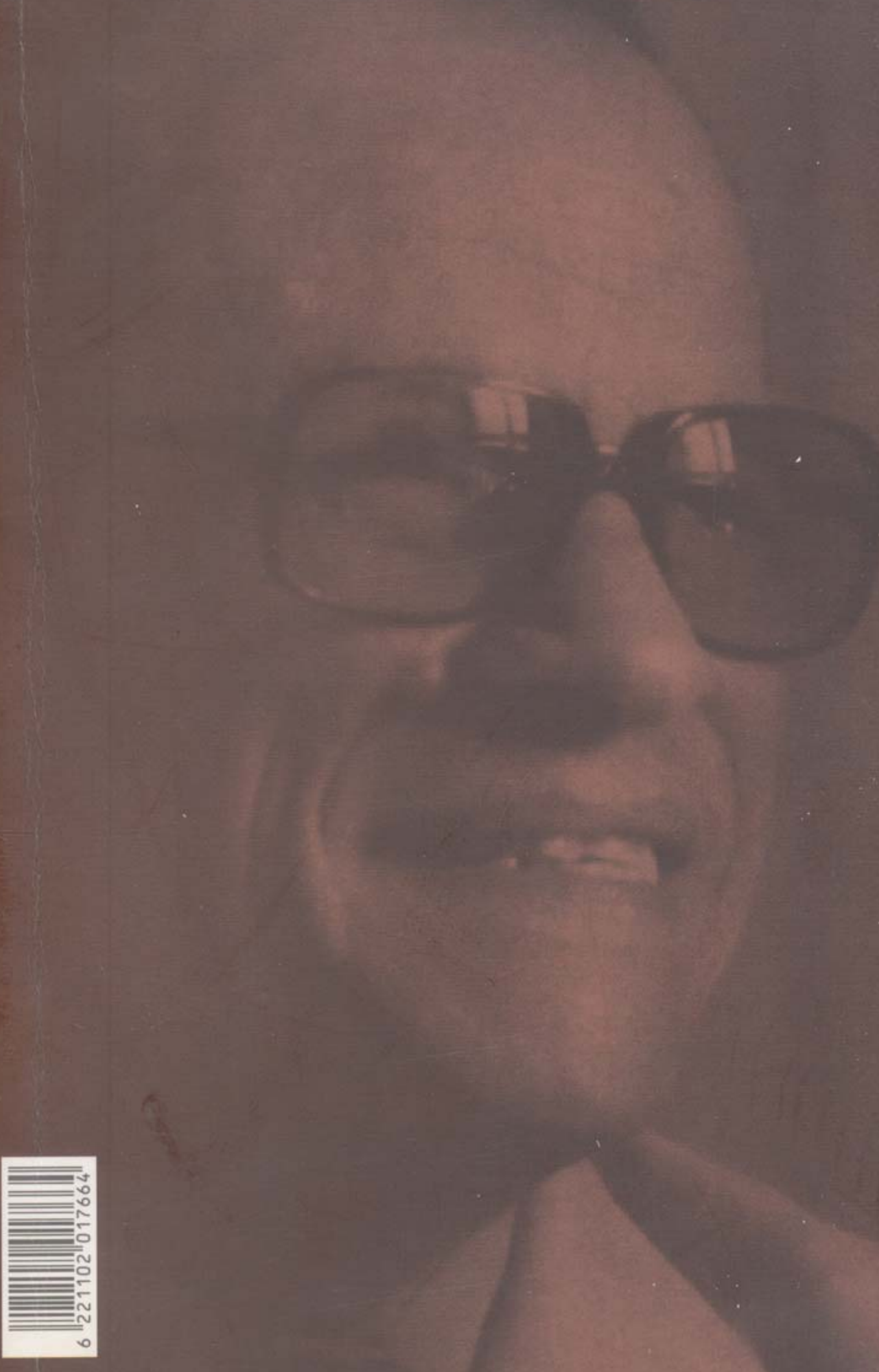
أعمال نجيب محفوظ

١ -	مصر القديمة	ترجمة	١٩٣٢
٢ -	همس الجنون	مجموعة قصصية	١٩٣٨
٣ -	عبث الأقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩
٤ -	رادوبيس	رواية تاريخية	١٩٤٣
٥ -	كفاح طيبة	رواية تاريخية	١٩٤٤
٦ -	القاهرة الجديدة	رواية	١٩٤٥
٧ -	خان الخليلي	رواية	١٩٤٦
٨ -	زقاق المدق	رواية	١٩٤٧
٩ -	السراب	رواية	١٩٤٨
١٠ -	بداية ونهاية	رواية	١٩٤٩
١١ -	بين القصرين	رواية	١٩٥٦
١٢ -	قصر الشوق	رواية	١٩٥٧
١٣ -	السكرية	رواية	١٩٥٧
١٤ -	اللص والكلاب	رواية	١٩٦١
١٥ -	السمان والخريف	رواية	١٩٦٢
١٦ -	دنيا الله	مجموعة قصصية	١٩٦٢
١٧ -	الطريق	رواية	١٩٦٤

١٨ ـ	بيت سيئ السمعة	مجموعة قصصية	١٩٦٥
١٩ ـ	الشحاذ	رواية	١٩٦٥
٢٠ ـ	ثرثرة فوق النيل	رواية	١٩٦٦
٢١ ـ	ميرامار	رواية	١٩٦٧
٢٢ ـ	أولاد حارتنا	رواية	١٩٦٧
٢٣ ـ	خمارة القط الأسود	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٤ ـ	تحت المظلة	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٥ ـ	حكاية بلا بداية ولا نهاية	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٦ ـ	شهر العسل	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٧ ـ	المرايا	رواية	١٩٧٢
٢٨ ـ	الحب تحت المطر	رواية	١٩٧٣
٢٩ ـ	الجريمة	مجموعة قصصية	١٩٧٣
٣٠ ـ	الكرنك	رواية	١٩٧٤
٣١ ـ	حكايات حارتنا	رواية	١٩٧٥
٣٢ ـ	قلب الليل	رواية	١٩٧٥
٣٣ ـ	حضرة المحترم	رواية	١٩٧٥
٣٤ ـ	الحرافيش	رواية	١٩٧٧
٣٥ ـ	الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٦ ـ	الشيطان يعظ	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٧ ـ	عصر الحب	رواية	١٩٨٠
٣٨ ـ	أفراح القبة	رواية	١٩٨١
٣٩ ـ	ليالى ألف ليلة	رواية	١٩٨٢

٤٠ ـ	رأيت فيما يرى النائم	مجموعة قصصية	١٩٨٢
٤١ ـ	الباقى من الزمن ساعة	روايـــة	١٩٨٢
٤٢ ـ	أمام العرش (حوار بين الحكام)	روايـــة	١٩٨٣
٤٣ ـ	رحلة ابن فطومة	روايـــة	١٩٨٣
٤٤ ـ	التنظيـم السـرى	مجموعة قصصية	١٩٨٤
٤٥ ـ	العائش فى الحقيقة	روايـــة	١٩٨٥
٤٦ ـ	يوم قتل الزعيم	روايـــة	١٩٨٥
٤٧ ـ	حديث الصباح والمساء	روايـــة	١٩٨٧
٤٨ ـ	صبـاح الـورد	مجموعة قصصية	١٩٨٧
٤٩ ـ	قشـــتمر	روايـــة	١٩٨٨
٥٠ ـ	الفجر الكاذب	مجموعة قصصية	١٩٨٨
٥١ ـ	أصداء السيرة الذاتية	مجموعة قصصية	١٩٩٥
٥٢ ـ	القـرار الأخيـر	مجموعة قصصية	١٩٩٦
٥٣ ـ	صـدى النسـيان	مجموعة قصصية	١٩٩٩
٥٤ ـ	فتـوة العطـوف	مجموعة قصصية	٢٠٠١
٥٥ ـ	أحـلام فترة النقاهة	مجموعة قصصية	٢٠٠٤

رقم الإيداع ١٦٦٠٣/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولى 5 - 1726 - 09 - 977


6 221102 017664